ديوان ابن سهل الأندلسي

جمع أحمد حسنين القرني

ديوان ابن سهل الأندلسي

جمع
أحمد حسنين القرني

هنـــداوي

ديوان ابن سهل الأندلسي

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ليلى يسري

الترقيم الدولي: ٩ ٢٠٣٦ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٢٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٠.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُصنَّف، الإصدار ٤,٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

إهداء الكتاب	٧
فاتحة الكتاب	٩
مقدمة المؤلف	١١
ديوان ابن سهل الأندلسي	١٥

إهداء الكتاب

إلى الشُّعَراء،
إلى الكُتَّاب،
إلى الأُدَباء،
إلى كلِّ هؤلاء في مصر، وفي الشَّرْق، أُهْدِي كتابي.

أحمد حسنين القرني

فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، مَن يَشَأْ يُضْلِلْه، ومَن يَشَأْ يجعلْهُ على صراطٍ مستقيم، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ الكريمِ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمَعِين.

وبعدُ؛ فقد كان لي مِن إقْبالِ الأُدباء على كِتابي «بشَّار بن بُرْد، شعره وأخباره» الذي أظهَرْتُه في هذا العام مُشَجِّعًا لي على السَّيْر في طريقي، والعملِ على إحياءِ مَن رفعَ الأدبُ والشِّعرُ قَدْرَهم، وأنسانَا تَوالي الأيامِ ذكرَهم، فاخترتُ بعدَ بشَّار بن بُرْدٍ إبراهيمَ بنَ سَهْلٍ شاعِرَ الأندلس ووشَّاحَها، قرأتُ له دِيوانًا مَطْبوعًا منذُ عهدٍ طويلٍ، فأخذْتُ على هذا الدِّيوان:

أولًا: سوءَ الطِّباعة.

ثانيًا: رداءةَ الوَرَق.

ثالثًا: تفشِّيَ الخطأ بشكلٍ مُرِيع.

رابعًا: النقصُ كبيرٌ.

وأعْجبَني شِعرُ الرجل، ورِقَّةُ غزَلِه، وجمالُ أُسْلُوبِه، فأعْملْتُ الفِكْرَ في تكمِلةِ النقصِ، فوفَّقَنِي اللهُ، وأجهدْتُ نفسي بمَعُونةِ صديقي الأديبِ النافِعِ الأستاذِ محمود أفندي رمزي

نظيم في إصْلاح الأخطاء، وردِّ الأبياتِ إلى أُصُولها، حتى وفَّقَنا الله، واخترتُ له الورقَ والأحرُفَ التي بين يدَيِ القارئ الكريم.

وسأَبْقَى — ما بَقْيَتْ فيَّ قوةٌ — ماضِيًا في طريقي، باحِثًا، مُنَقِّبًا، خادِمًا للأدب وذَوِيه، واللهُ وليِّي بالتوفيق، وهو حسْبِي ونعمَ الْمُعِينُ.

أحمد حسنين القرني
القاهرة في ديسمبر سنة ١٩٢٥

مقدمة المؤلف

ابن سَهْل

هو إبراهيمُ بنُ سهْلٍ الإسرائيليُّ الأندلُسِيُّ.

(١) أصله

نَزَحَ آباؤُه إلى الأندلُس مِن زمنٍ بعيدٍ، وهو ليسَ بعربيِّ الأصل، ولكنَّه برَعَ في اللغة العربية، وبرزَ في آدابِها.

(٢) نشأته

وُلد بمدينة إِشْبِيلِيَة في سنة ٦٠٩ من الهجرة، وهو مِن شعراء بني هُودٍ الذين كان عصْرُهم مِن أَزْهى عصور الحضارة في بلاد الأندلس.

(٣) عصره

عاش في النصف الأول من القرن السابع؛ أيْ في الوقتِ الذي يُعتَبَر آخِرَ عصورِ العرب في الأندلس، إلَّا أنَّ الشعرَ مع هذا كان على حالِه من الرُّقِيِّ، والناسُ كما هم يُمَجِّدون الشُّعراءَ، ويُكْبِرونهم؛ لأنَّ بلاد الأندلس لم تَمُتْ بداءِ الشَّيْخوخة، بلِ اهتُصِرَتْ فَتِيَّةً، فكانتْ أيامُها

الأَخيرةُ أيامَ عزِّ اللغة وفتوَّتِها، ونموِّ الأدب والنهوض بالشِّعْر، والتفنُّن في أساليبِه، وفي وسَط هذا البحْرِ الزَّاخِر بالعُلَماء، العامِر بالشُّعراء والأُدباء، برزَ ابنُ سهلٍ وتلألأ نجمُه في سماء الأدب حتى سُمِّيَ: شاعرَ إِشْبِيلِيَة، ووشَّاحَها.

(٤) شعره

وِجْدانيٌّ صِرْفٌ تُمْلِيهِ العاطفةُ، وأرقُّ الشعرِ ما أَوْحَتْ به العاطفةُ وأملاه الوجدانُ، لا ما أَنْتَجَتْه الصنعةُ، ونُحِتَ من العقلِ نَحْتًا؛ لهذا سَمَّوْه: «شاعرَ إِشْبِيلِيَة ووشَّاحها»، وشهِدَ له بالتبريز كبارُ الشعراء، فقالَ بعضُهم لَمَّا غَرِقَ: «عادَ الدُّرُّ إلى وَطَنِه.» وسُئل بعض المغاربة عن السِّرِّ في رِقَّة شعر ابن سهل، فقال: لأنَّه اجتَمَع فيه ذُلَّان: ذُلُّ العِشْق، وذُلُّ اليَهودية.

وقال ابن الأَبَّار: «كان من الأُدباء، الأَذْكياء، الشُّعراء، كان يَهُوديًّا، فأَسْلَم، وقرأَ القرآنَ، وكتبَ لابن خلاص بسَبْتة.»

وقال أَثِير الدِّين أبو حيَّان: «ابن سهلٍ أَدِيبٌ ماهرٌ دُوِّن شعره في مجلَّد، وكان يهوديًّا فأسلم، وله قصيدةٌ مَدَحَ بها رسولَ الله ﷺ، وكان يقرأ مع المسلمين ويُخالِطُهم.»

وقد قال عنه الدكتور أحمد ضيف أحدُ رجالِ الأدب المعدُودين في هذا العصر بعد أن قدَّم الكثير من سيرته: «هذه صورةُ ابن سهل، وهي صورةُ شاعرٍ وصَّافٍ يُجِيد الوَصْف، وغازلٍ يُجِيد الغَزَلَ، ووجْداني لا يخرج عن دائرة وجْدانِه، ومصوِّر بارع لِمَا يَرَى ويَسْمَع، قليل الآراء، قاصر الخيال، لكنَّه مُبْدِعٌ في الأسلوب، متفنِّنٌ في الكلام، لا يَشعُر الإنسانُ بأدنى مَلَل في قراءة كلامه، وهو في كلِّ ذلك خفيفُ الرُّوح، مُطْرِبٌ، مُعْجِبٌ، وكفَى بذلك دليلًا على جمال قوله، ونصيبه في الافتتان!»

وقد ظهر نبوغُه في الشعر وهو شابٌّ، ولا تَجِدُ له في غير الغزل إلَّا القليلَ، وشعرُه جميلٌ، وأسلوبُهُ رائعٌ، ومعانِيه شائقةٌ، وإذا قرأتَ كلَّ شعرِهِ لاحَ لك كأنَّه جمعَ كلَّ ما عَرَفَ ويعرفُ من الآراءِ في العِشْق والغزل.

(٥) عيوب شعره

قصورٌ في الخيال، وقِلَّةٌ في الآراء، وتكرارٌ للمَعاني، حتى لَتستطيعُ أنْ تُعْطِيَ حُكمًا عنه بقراءةِ قصيدةٍ واحدةٍ له، وفيما وصلَ إلى يدي من موشَّحاته بعضُ تعقيدٍ لفظيٍّ سَلِمَ منه شعرُه.

(٦) مدحه

يكاد يكون معدومَ المَدْح، ودُرَّة مدائِحه هي القصيدة العَيْنية التي يَمْدَح بها النبي ﷺ، وأوَّلها:

تُنازِعُني الآمالُ كَهْلًا ويَافِعًا ويُسْعِدُني التَّعْليلُ لو كانَ نَافِعا

(٧) هجاؤه

لم يَرِدْ في شعرِه شيءٌ من الهِجاء.

(٨) أخلاقُه

تجمَّع فيه إلى جانب رِقَّة العاشِق دَماثَةُ الأديب، ووَداعةُ الشاعر الظَّريف، ولم يكُنْ هجَّاء فيُقال: سَلِيط، ولا مدَّاحًا فيُقال: منافق! ولم يُذكَر شيءٌ عن صفاتِه الجُثْمانية.

(٩) مذهبه الدِّيني

كان يهوديًّا تغَلْغَلَتِ اليهوديةُ في نفسِه حتى علَّلوا رِقَّةَ شعرِه باجتماعِ ذُلِّ العِشْق وذُلِّ اليهودية فيه — كما قدَّمْنا، ثم أَسْلَم، وقرأ القرآنَ، وعاشَرَ المسلِمين، ومدحَ النبيَّ ﷺ بقصيدةٍ طويلةٍ، واستدلُّوا على إسلامِه بقوله:

تسلَّيْتُ عن مُوسَى بحبِّ محمدٍ هُدِيتُ ولولا اللهُ ما كنتُ أَهْتَدِي
وما عن قِلًى قد كان ذاك، وإنَّما شريعةُ مُوسى عُطِّلَتْ بِمُحمَّدِ

ولكنَّ البعض رمَاه بعدم الإخلاص، وقالوا: إنَّه كان يتظاهَر بالإسلام، ولا يَخْلُو مِن قدْحٍ واتهام. وكان أبو الحسن علي بن سمعة يقول: «شيئان لا يصِحَّان: إسلام إبراهيم بن سهل، وتوبة الزمخشري من الاعتزال.» وقد رَوَى العلَّامة الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق أنَّه مات على دين الإسلام، وكذلك قال ابن الأبَّار، وأَثِير الدِّين أبو حيَّان. وقد اجتمَعَ مع ابن سهل جماعةٌ في مجلس أنسٍ، وسألوه — بعد أنْ أَعْمَتِ الرَّاحُ فيه — عن إسلامه هل هو في الظاهر والباطن؟ فأجابَهم: للناسِ ما ظَهَر، ولله ما استَتَر.

وعلى كلٍّ، فسواءٌ أأَخْلَص في إسلامِه أم لم يُخْلِص، فقدْ وُلد يهوديًّا، ومات مُسْلِمًا.

(١٠) حبُّه

ردَّد في كلِّ غزلِه وكلِّ شعْرِه اسمًا واحدًا هو «مُوسى»، وقالوا: إنَّه أرادَ به مُوسى كليمَ الله، عليه السلام. وقالوا: بل هو غلامٌ يهوديٌّ كان يَهْواه، ومِن هؤلاء القائلين أثير الدين بن حيَّان؛ فقد قال: «أكثرُ شعرِه في صبيٍّ يهوديٍّ كان يهواه.» وأنا أرى هذا الرأيَ بدليل قولِه:

أَصْبُو إلى قِصَصِ الكَلِيمِ وقولِهِ قصدًا لذِكْرِكَ عندَها وتعرُّضَا

وقوله:

أبطلَ موسى السِّحْرَ فيما مضى وجاء موسى اليومَ بالسِّحْرِ

فموساه هذا إمَّا هو معشوقٌ صحيح بهذا الاسم، وإمَّا شخصية تَخِذَها سِتارًا لمعشوقٍ آخَر، وقد تكون داعيًا من دواعي الشعر تغنَّى بها، وإنْ يكنْ في هذا الرأْيِ ما فيه من ضَعْف.

(١١) ديوانه

أعتقد أنَّ له شعرًا وموشَّحاتٍ غير ما تَجِد، ولكنْ لعلَّها ضاعتْ؛ لأنَّه لم يقع بين أيدِينا إلَّا قِطَعٌ متفرِّقات في كُتُب الأدب بين يدَيْك مجموعُها مضافًا إلى ديوان صغير قال جامِعُه: إنَّه طاف من أجْلِه مختلِفَ البِلاد، وعَثَرَ على أكْثَرِها في بلاد المغرب بدعوةٍ من واحد هناك.

(١٢) وفاته

مات غَرِيقًا في سنة ٦٤٩، وكان عُمرُه ٤٠ سنة.

أحمد حسنين القرني

ديوان ابن سهل الأندلسي

(١) حرف الهمزة

بين اليأس والأمل

إذا اليأسُ ناجَى النفسَ منك بلَنْ ولا أجابتْ ظنوني: ربَّما، وعسائي

(٢) حرف الباء

لذَّة الأَسَى

رُدُّوا على طرْفِيَ النومَ الذي سَلَبَا وخَبِّروني بعَقْلِي أيَّةً ذهَبَا؟
علمتُ لَمَّا رضِيتُ الحبَّ منزلةً أنَّ المنامَ على عينيَّ قد غَضِبَا
فقلتُ: وا حربا! والصمتُ أجْدرُ بي[١] قد يغضبُ الحبُّ إنْ ناديتُ: وا حربَا!
وليس ثأري على موسى وحُرْمَتِه بواجبٍ، وهْو في حِلٍّ إذا وجَبَا
إني له عن دَمِي المسفوكِ معتذرٌ أقول حمَّلْتُه في سفْكِه تَعَبَا
مَن صاغَه الله من ماء الحياة، وقد أجرى بقِيَّتَه في ثغرِهِ[٢] شَنَبَا[٣]

---

[١] وا حربا: أي وا حزنا!
[٢] الثغر: هو ما تقدَّم من الأسنان.
[٣] الشَّنَب: حِدَّة الأسنانِ ودِقَّتُها.

نفسي تَلذُّ الأَسَى فيه، وتألَفُه ... هل تعلمون لنفسي بالأسى نَسَبَا؟!
قالوا: عهِدْناك من أهل الرَّشاد، فما ... أغواك؟ قلتُ: اطْلُبوا مَن لَحْظُه السَّبَبَا
يا غائبًا، مُقْلَتِي تَهْمِي لفُرْقتِه ... والقَطْرُ إنْ حُجِبتْ شمسُ الضُّحَى انْسَكَبَا
ألْقَى بمرآةِ فِكْري شمسَ صُورَتِه ... فعكسها شبَّ في أحشائيَ اللَّهَبَا
لَمَّا غربتَ[٤] عجَمْتُ[٥] الصَّبرَ أَسْبُرُه[٦] ... فلم أَجِدْ عودَه نَبْعًا، ولا غَربا[٧]
كم ليلةٍ بِتُّها، والنجمُ يَشْهَد لي ... صريعَ شوقٍ إذا غالَبْتُه غَلَبا
مُردِّدًا في الدُّجَى لَهْفِي، ولو نطقتْ ... نجومُه ردَّدتْ مِن حالتي عَجَبا
نهبتُ فيها عقيقَ الدَّمْعِ مِن أسَفٍ ... حتى رأيتُ جُمانَ[٨] الشُّهْب قد نُهبا
هل تشتَفِي منكَ عينٌ أنت ناظِرُها ... قد نال منها سوادُ الليل ما طَلَبا؟
ماذا تَرَى مِن محبٍّ ما ذُكْرتَ له ... إلَّا شكا، أو بكى، أو حنَّ، أو طَرِبا؟
يَرَى خيالَك في الماءِ الزُّلالِ إذا ... رامَ الوُرودَ فيُرْوَى، وهْو ما شَرِبا!

أيكون العاشق لبيبًا؟!

أموسى، متى أحْظَى لدَيْكَ، ومعبدي ... ودادي، وأعذاري إليك ذنوبي؟
نبذتُ[٩] لصَبْرِي فيك أكرمَ عُدَّةٍ ... وقاطعتُ مِن قومي أعزَّ حبيبِ
وَهَبتُ — ولامَنِي على الحُسْن — مُهْجتي ... ولبَّى، وجثماني لغير مُثِيبِ
فضاعَتْ — ولا ردٌّ عليه — وسائلي ... وخاب — ولا عُتْبٌ عليه — نَصِيبي
وقالوا: لبيبٌ لو أراد عصَى الهوى ... تناقضَ وَصْفَا عاشِقٍ ولبيبِ!
وما باختياري فارَقَ القلبَ صبْرُهُ ... ولكنْ فراقُ السَّيفِ كفَّ شَبِيبِ![١٠]

---

[٤] بعدتَ.
[٥] اختبرتُ.
[٦] أعرفُ مِقْدارَه.
[٧] النبع: الماء القليل، والغَرب: الدَّلْو الكبير، والمقصود هنا لم أجِدْه قليلًا أو كثيرًا.
[٨] الجمان: كُرات تُصْنَع من الفضة.
[٩] تركتُ.
[١٠] رجلٌ من العرب يَضرِبون به المَثَل في الشجاعة.

استسلام العاشق

أذوقُ الهوَى مرَّ المطاعِمِ عَلْقمًا ... وأذكرُ مَن فيه اللَّمَى[11] فيَطِيبُ
تحنُّ وتصبو كلُّ عينٍ لحُسْنِه ... كأنَّ عيونَ الناس فيه قلوبُ
وموسى، ولا كُفرانَ لله، قاتِلِي ... وموسى لقلبي، كيف كان، حبيبُ

يأس العاشقين

هو البَيْنُ[12] يا موسى، ولو كنتَ ثَاوِيًا[13] ... فما كان قُرْبُ الدار منك مُقَرِّبي
أرَوْضَ الصَّبا! قد جفَّ بالبَيْنِ مَنبِتِي ... ويا شمسَ أفقِ الحُسْنِ! قد حان مَغْرِبي
وقد كنتُ قبلَ البَيْنِ أَهْذِي بمَطْمَعِي ... وأَرْقِي[14] جفوني بالرَّجاءِ الْمُخَيِّبِ
فأمَّا وقد نادَى الغرابُ ركائبي ... فيا صبرُ، إنْ شرَّقتَ سَيْرًا فغَرِّبِ
ويا سلوتي في الحبِّ، بِينِي[15] ذَميمةً ... وفي غير حفظٍ أيُّها النومُ فاذْهَبِ
مِن اليومِ أَرِّخْ فيكَ أَوَّلَ شِقْوَتي ... وآخِرَ عهْدِي بالفؤاد المُعذِّبِ

لوعة العاشق

تُدْنِيكَ زُورُ الأماني ... مِنِّي! وتَنْأَى[16] طِلابَا
كأنَّنِي حينَ أبْغِي ... رضاكَ أبْغِي الشَّبابَا
وأَشْتَهِي منكَ ذَنْبًا ... أبْنِي عليه العِتابَا
حتى إذا كان ذنبٌ ... فتحتُ للعُذْرِ بابَا
ظَمِئْتُ منكَ لوَعْدٍ ... فكانَ وِرْدِي السَّرابَا[17]
لا خابَ سُؤْلُك، أمَّا ... سُؤْلِي لدَيْكَ فخَابَا!

---

[11] حمرةُ الشِّفاه.
[12] البُعْد.
[13] مُقيمًا.
[14] أتلُو رقيةً؛ أي تعويذةً أُسَكِّنها بها.
[15] ابعدِي.
[16] تبعد.
[17] يلوح للسائر في الفلاة في وسَط النهار كأنَّه ماء، وليس بماء.

ما يعلم الشوق

مِن الأيامِ لا أَلْقاكَ عَشْرٌ ... أطلتُ بها على الزمنِ العِتابا
ولستُ أعُدُّ هذا اليومَ منها ... لعلَّ اللهَ يَفْتَحُ فيه بابا
فإنْ تكُ لم تَعُدَّ، ولم تُحَقِّقْ ... فلي شوقٌ يُعلِّمُني الحِسابَا!

الطبيب المحموم

خلُصْتَ خُلُوصَ التِّبْرِ[١٨] مِن عِلَّة الضَّنَى ... وأشبهتَ منه صفرةً بشُحُوبِ[١٩]
فإنْ كانتِ الحُمَّى تضرُّ حبِيبَها ... فما عجبٌ إضرارُها بطبيبِ!
وما كونُها في مثلِ جسمِكَ بدعةً ... فما الحَرُّ في شمسِ الضُّحَى بغريبِ!

تهنئة بمولود

هي طَلعةُ السَّعْدِ الأغرِّ فمرحبًا ... وسَنَا[٢٠] الرئاسةِ قد أضاءَ، فلا خَبَا[٢١]
فرعٌ أزاهِرُه المناقبُ ثابتٌ ... في المكرُماتِ الشُّمِّ، لا شُمِّ الرُّبَا[٢٢]
الله خوَّل فيه آجامَ[٢٣] العُلَى ... ليثًا، وآفاقَ الرئاسة كَوْكَبَا
هشَّتْ لِمَطْلَعِه الأَسِنَّةُ، والأَسِرَّ ... ةُ، والمحافِلُ، والجحافِلُ، والظُّبَا
لا تُرْكِبوه على الْمُهُودِ[٢٤] فإنَّه ... لَيَرَى ظُهورَ الخيلِ أَوْطَأَ مَرْكَبا
ولْتَفْطِموه عنِ الرَّضاعِ فإنَّه ... لَيَرَى دمَ الأبطالِ أحْلَى مَشْرَبا

---

[١٨] الذهب الخالص.
[١٩] الشحوب: صفرة الهزال.
[٢٠] نُور.
[٢١] انطفأ.
[٢٢] جمع ربوة، وهي ما ارتفع من الأرض.
[٢٣] جمع أجمة، وهي الغابة.
[٢٤] جمع مَهْد، وهو فراش الطفل.

مُوشَّح

يـا لـحـظـاتٍ لـلـفِـتَـن فـي كَـرِّهـا أَوْفَـى نَـصِـيـب
تـرمـي فـكُـلِّـي مَـقْـتـلٌ وكـلُّـهـا سـهـمٌ مُـصِـيـب

* * *

الـلَّـوْم لـلَّاحِـي[٢٥] مُـبـاحْ أمَّـا قـبـولُـه فـلا
عـلـقْـتُـه وجْـهَ صـبـاحْ ريـقٌ طِـلا[٢٦] عـنـقٌ طَـلا[٢٧]
كـالـظـبْـيِ ثـغـرُه أقـاحْ ومـا ارْتَـعَـى شـيـحَ الـفَـلا[٢٨]

* * *

يـا ظـبْـيُ خـذْ قـلـبـي وَطَـنْ فـأنـتَ فـي الأنـسِ غـريـب
وارتـعْ، فـهـذا سـلـسـلٌ[٢٩] ومـهـجـتـي مَـرْعًـى خَـصِـيـب!

* * *

بـيـن الـلَّـمَـى والـحَـوَر[٣٠] مـنـه الـحـيـاةُ والأَجَـلْ
سـقـتْ مـيـاهُ الـخَـفَـرِ[٣١] فـي خـدِّه وردَ الـخَـجَـلْ
زرعـتُـهُ بـالـنَّـظَـر وأجْـتَـنِـيـهِ بـالأمـلْ
في طَرْفِه السَّاجِي[٣٢] وَسَنْ[٣٣] سَـهَّـدَ[٣٤] أجـفـانَ الـكَـئِـيـب

---

[٢٥] اللائِم.
[٢٦] خمرٌ.
[٢٧] ظبيٌ.
[٢٨] جمع فلاة، وهي المفازة.
[٢٩] ماء عذب رائق.
[٣٠] اللَّمَى: سُمْرة الشَّفة تُستَحْسَن، والحَوَر: شدة بياض العين مع شدة سوادها.
[٣١] شدة الحياء.
[٣٢] الساكن.
[٣٣] نُعاس.
[٣٤] أسْهَرَ.

والـرِّدْفُ فـيـهِ ثِـقَـلٌ خـفَّ لـه عـقـلُ الـلَّـبـيـب

* * *

أهْـدَى إلـى حَـرِّ الـعِـتـاب بـردَ الـلَّـمَـى وقـدْ وَقَـد[٣٥]
فـلـو لـثـمـتُـه لـذاب مـن زَفْـرَتـي ذاكَ الـبَـرَد
ثم لَوَى جيدَ[٣٦] كَعاب[٣٧] مـا خِـلْـتُـه إلَّا الـغـيَـد[٣٨]
فـي نـزعـةِ الـظَّـبْـيِ الأَغَـن وهـزةِ الـغُـصْـن الـرَّطـيـبْ
يـجـري لـدمـعـي جـدولٌ فـيـنْـثَـنِـي مـنـه قَـضِـيـب

* * *

أأنـتَ حُـورٌ أَرْسَـلَـكْ رِضـوانُ صِـدْقًـا لـلـخَـبَـرْ؟
قُـطِّـعـتِ الـقـلـوبُ لـك وقـيـل: مـا هـذا بَـشَـر!
أم الـصَّـفـا مـضْـنَـى هـلـك مـن الـنَّـوَى أم الـكَـدَر
حـتـى تُـزكِّـيـهِ الْـمِـحَـن أمـرُ الـهَـوَى أمـرٌ غـريـب
كـأنَّ عـشـقِـي مِـنـدَل زادتْـه نـارُ الـهـجـر طِـيـب
أغربتَ[٣٩] في الحُسْنِ البَدِيعْ فـصـار دَمْـعِـي مَـغْـرِبـا
شمِلَ الهوى عندي جميع وأدمُـعِـي أيْـدِي سَـبَـا[٤٠]
فـلـتَـسْـتَـمْـعُ عَـبْـدًا مُـطِـيـع غـنَّـى لـبـعـض الـرُّقَـبـا
هـذا الـرَّقِـيـب مـا يـظـن لـو كـان إنـسـان مـريـب!
مـولاي! قـمْ بـي نـعـمـل ذاك الـذي ظـنَّ الـرَّقـيـب

---

[٣٥] اتَّقَد.

[٣٦] عنق.

[٣٧] الكعاب الجارية التي بدا ثَدْيُها للنهود.

[٣٨] النعومة.

[٣٩] جئتَ بشيء غريب.

[٤٠] متفرِّقات.

موشَّح

رَوْضٌ نـضـر، وشـادِن[٤١] وطِـلا فاجتَنِ زهرَ الربيع والقُبَلا واشْرَب
يـا ساقـيًا مـا وُقِـيتُ فـتـنـتَـه!
حـكَتْ رحـيقُ الـكئوس صُـورتَـه
فـمـثـلـتْ ثـغـرَه، ووجـنَـتَـه
هـذا حُـبـاب كـالـسـلـك مـعـتـدلًا وذا رحـيق كـالـزُّجـاج عـلا كـوكـب
أقـمـت حـربَ الـهـوى عـلـى سـاق
وبـعـت عَـقْـلـي بـالـخـمـر مـن سـاق
أسـهـر جـفـنـي بـنـوم أحـداق
بـمـثـل الـسـحـر وسـطـهـا كَـحَـلا[٤٢] مقلته وهي تُبْرِئ العِللا فاعجب!
قـلـبـك صـخـرٌ والـجـسـم مـن ذهـبِ!
أيـا سـمـيَّ الـنـبـيِّ يـا ذَهَـبـي
جـاورتَ مِـن مـهـجـتـي أبـا لَـهَـبِ
يـا بـاخـلًا لا أذمُّ مـا فـعـلا! صيَّرتَ عندي مذهبَ البُخَلا مذهب!
يـا مُـنْـيَـتـي، والـمُـنَـى مـن الـخِـدَعِ!
مـا نـلـتُ سُـؤلـي، ولا الـفـؤاد مَـعِـي!
هل عنكَ صبرٌ، أو فيك مِن طمَعِ؟
أفـنـيـتُ فـيـك الـدمـوع والـجِـيَـلا قالوا: تسلَّى في الحبِّ! قلتُ: ولا مأرب!
أبـيـتُ أشـكـوه لَـوْعـتـي عـجـبـا
فـصـدَّ عـنِّـي بـوجْـهِـه غَـضِـبـا
عـنـدَ هـذا نـاديـتُ: وا حَـربـا!
تـصـدُّ عـنِّـي يـا مُـنْـيـتـي مَـلَـلًا وأشتكي من صُدُودكَ العِلَلا تغضب!

---

[٤١] الغزال الذي قَوِي، وطلَع قرناه، واستَغْنى عن أمه.

[٤٢] سواد العين بغير كحل.

(٣) حرف التاء

العذار

هـذا أبـو بـكـر يَـقُـود بـوجْـهِـهِ جـيـشَ الـفـنـون مـطـرَّز الـرَّايـاتِ
أهْـدَى ربـيـعُ عـذَارِهِ لـقُـلـوبِـنـا حَـرَّ المصيف فشبَّ للوَجَنـاتِ
صبَتِ النفوسُ، وقد أَضلَّ، كما صبا أهلُ الضـلال لـخـدِّه الرُّومـاتِ[٤٣]
خـدٌّ جـرى مـاءُ الـنـسـيـم بـجَـمْـرِه فاسودَّ مجرى الماء في الجَمَراتِ
كتَبَتْ حروفُ الشعرِ في وَجَناتِه ما قد جَنَتْ عيناهُ في المُهُجاتِ
فـتـرى ذنـوبَ جُـفـونِـه فـي خـدِّه يَـبْـدُو عـلـيـهـا رَونـقُ الـحَـسـنـاتِ

(٤) حرف الحاء

مناجاة!

يا مَن هُدِيتُ بحُسْنِه! فمَحبَّتي بيضاءُ في نَهْجِ[٤٤] الغرام الوَاضِحِ
قدحَتْ لواحِظُكَ الهَوَى في خاطِرِي حقًّا لقد ورَّيتَ زندَ القَادِحِ[٤٥]
ما استَكْمَلَتْ لي فيكَ أوَّلُ نظرةٍ حتى علمتُ بأنَّ حبَّكَ فاضِحي
أنت السِّماكُ مِن البعاد، وربما سِماكُ لحْظِك بالسِّماك الرَّامِحِ
يا حبَّ موسى! لا تَخَفْ لي سلوةً ظهرَ الغرامُ، وخاب ظنُّ الناصِحِ
أهواه حتى العين تألَفُ سُهْدَها فيه، وتطرب بالسَّقام جوارِحِي
يا هل درى جفني غداةَ وَدَاعِه قدر الرَّزيةِ بالمنام النازِحِ؟!
والصبر؛ إنَّ الصبر كان مودِّعي والجسم؛ إنَّ الرُّوح كان مُصافِحي

---

[٤٣] الضلال معناه الحب، والرومات لم أقف لها على معنى، وقد جاءتْ هكذا في عدة مصادر.

[٤٤] طريق.

[٤٥] ورَّى: أخرج النار، والزند، العود الذي يُقدَح ليخرج النار: والقادح الضارب.

عرائس الغصون

غيري يَمِيلُ إلى كلام اللَّاحِي ... ويَمُدُّ راحتَه لغيرِ الرَّاحِ
لا سيَّما والغصنُ يُزْهِر زهرَه ... ويهزُّ عِطْفَ الشارب المرتاح
وقد استطارَ القلبَ ساجِعُ أيكةٍ[٤٦] ... مِن كل ما أشكوه ليس بصاح
قد بان عنه قرينُه، عجبًا له ... من جانح للعجزِ خلفَ جناح
بين الرياض وقد غدا في مأتم ... وتخاله قد ظلَّ في أفراح
فالآن وقت ترفُّع الكاسات قد ... آنَ اطِّراحُ نصيحةِ النُّصَّاح
وعلى العروشِ من الغصون عرائس ... قد وُشِّحتْ أعطافُها بوِشاحِ[٤٧]

(٥) حرف الدال

داء ودواء

أقلِّدُ وَجْدِي، فلْيُبَرْهِنْ مُفنِّدي[٤٨] ... فما أضْيَعَ البرهانَ عندَ الْمُقَلِّدِ!
هَبُوا نُصْحَكم شمسًا فما عينُ أرمد![٤٩] ... بأكرهَ في مرْآهُ من عينِ مُكْمَد[٥٠]
غزالٌ براهُ اللهُ من مِسكةٍ بَرَى ... بها الحُسْنَ مِنَّا مسكة المتجلِّدِ
وأبدع فيها الصُّنْعَ حتى أعارَها ... بياضَ الضُّحَى في نعمةِ الغُصنِ النَّدِي
وأبْقَى لذاك الأصل في الخدِّ نقطةً ... على أصلِها في اللون إيماءَ مُرْشِدِ
وإني لِثَوْبِ السُّقْم أجدرُ لابِس، ... وموسى لثَوبِ الحُسْنِ أمْلَحُ مُرْتَدِ
تأمَّلْ لَظَى شوقي وموسى يُشِبُّه ... تَجِدْ خيرَ نارٍ عندَها خيرُ مُوقِدِ
دعوهُ يُذِبْ نفسي، ويهجر، ويجتهد ... تَرَوْا كيف يعتزُّ الجمالُ ويَعْتَدِي

---

[٤٦] الأيكة واحدة الأَيْك، وهو الشجر الكثيف الملتفُّ، والساجع الحمامة التي تُغنِّي فوقَها.

[٤٧] الوشاح: نسيج عريض مُرصَّع بالجواهر تشدُّه المرأة بين عاتِقِها وكَشْحِها، والأعطاف جمع عِطْف، وهو الجانب من لدن الرأس إلى الوَرِك.

[٤٨] لائمي.

[٤٩] مريض بعينيه.

[٥٠] حزين مكتوم الحزن.

إذا ما رنا شَزرًا فمِن لحظِ أَحْوَر ... وإن يَلْوِ إعراضًا فصفحةُ أَغْيَدِ[٥١]
وعذَّبَ بالي — نعَّمَ الله بالَه — ... وسهَّدَني — لا ذاقَ بَلْوَى التَّسهُّدِ!
تَطَلَّعَ والَّلاحي يَلُومُ، فراعَني ... وكدتُ، وقد أعذرتُ يُسقَطُ في يَدِي!
ونادَيتُ: لا! إذْ قال: تَهْوَى وإنَّما ... رَمَانِي فكانتْ «لا» افتتاحَ التشهُّدِ
أيا طِيبَ سُكْرِ الحبِّ لولا جنونُه ... محا لذَّةَ النَّشوانِ سُكْرُ الْمُعَرْبِدِ
شكوتُ مجازًا للطَّبيبِ، وإنما ... طبيبي سقامٌ في لواحِظِ مُبْعِدِي
فقال — على التأنيس:[٥٢] «طِبُّك حاضرٌ» ... فقلتُ: نعم؛ لو أنَّه بعضُ عُوَّدي
وقال: شكا سوءَ المِزاجِ وإنما ... به سوءُ بختٍ من هوًى غير مُسْعِدِ
بكيتُ، فقال الحُسْنُ هُزْأً: أتشتري ... بماءِ جفونٍ ماءَ ثغرٍ مُنَضَّدِ؟!
وغنَّيتُه شعرًا به أستَميلُه ... فأبدى ازدِراءً بابن حُجْرٍ ومَعْبَدِ[٥٣]
كأنِّي بصِرْفِ البَيْنِ[٥٤] حانَ فجادَ لي ... بأحْلَى سلامٍ منه أفظَعُ مَشْهَدِ
تغنَّمتُ منه السَّيرَ خلْفِي مُشَيِّعًا ... فأقبلتُ أمشي مثلَ مَشْيِ الْمُقَيَّدِ
وجاء لتَوديعي، فقلتُ اتَّئِدْ فقد ... مشتْ لك نفسي في الزَّفيرِ المصَعَّدِ
جعلتُ يميني كالنِّطاقِ لخَصْرِه ... وصاغتْ جفوني حَلْيَ ذاكَ الْمُقلَّدِ
وجُدْتُ بذَوْبِ التِّبْرِ فوقَ مُوَرَّس ... وضنَّ بذَوْبِ الدُّرِّ فوقَ مُوَرَّدِ[٥٥]
ومسَّح أجفاني ببَرْدِ بنانِه ... فألَّف بين الْمُزْن[٥٦] والسوسن النَّدِي
أيَا عِلَّةَ العقلِ الحَصِيفِ[٥٧] وصَبْوةَ الـ ... ـعفيف وعينَ الناسِك المتعبِّدِ
رَعَيْتُ لِحاظِي في جَمالِكَ آمنًا ... فأَذْهَلَني عن مَصْدِري حُسْنُ مَوْرِدِي

---

[٥١] النظر الشزر: هو الذي يكون بمؤخر العين، والأَحْور مَن اشتدَّ سوادُ عينَيْه مع اشتداد بياضها، والأَغْيَد الناعِس الطَّرْف المائل العنق.

[٥٢] من قَبِيل المؤانسة.

[٥٣] كلاهما شاعر معروف بسموِّ الخيال ورِقَّة الشعر.

[٥٤] جاء موعده.

[٥٥] المورَّس: ذو اللون الأصفر، ويعني به خدَّه الذي اصفرَّ من شدة الأَسى والحزن، والمُوَرَّد: ذو اللون الأحمر، ويعني به خدَّ حبيبه، وهو مأخوذ من الورْس، وهو نباتٌ في اليمن لونُه أصفر.

[٥٦] المطر.

[٥٧] الرَّزِين المتكامل.

وأنَّ الهوى فِي لَحْظِ عينِك كامنٌ كمونَ المنايا في الحُسام المُهنَّدِ
أظلُّ، ويومي فيك هجرٌ ووحشةٌ ويومي — بحمد الله — أحسنُ مِن غَدِي
وِصالُك أشْهَى مِن مُعاوَدة الصِّبا وأطيبُ من عيَشِ الهَنِيِّ الْمُرَغَّدِ
عليك فَطَمْتُ العينَ عن لذَّةِ الكَرَى وأخرجتُ قلبي طيِّبَ النفسِ عن يَدِي

دين العشق!

وأَلْمَى، بقلبي منه جمرٌ مؤجَّجٌ[٥٨] تَرَاهُ على خدَّيْه يَنْدَى ويَبْرُدُ
يُسائِلني: مِن أيِّ دينٍ؟ مُداعبًا! وشملُ اعتقادي في هواه مُبَدَّدُ
فؤادي حنيفيٌّ، ولكنَّ مُقْلَتِي مجوسيةٌ من خدِّهِ النارَ تَعْبُدُ!

الخال!

كأنَّ الخالَ[٥٩] في وَجَنات موسى سوادُ العُتْب في نُورِ الوِدادِ
وخُطَّ بخَدِّه للحُسْن واوٌ فنقَّطَ خدَّه بعضُ الْمِدادِ
لواحِظُه مُحيِّرةٌ، ولكنْ بها اهتدتِ الشُّجونُ[٦٠] إلى فؤادي!

تحبَّب وتوسَّل

أحلى مِن الأمن، لا يأْوِي لذي كَمَدِ فيه انتهى الحسنُ مجموعًا، ومنه بُدِي
لم تدْرِ ألحاظُهُ كُحْلًا، سوى كَحَلٍ[٦١] فيها، ولا جِيدُه حَلْيًا سوى الغَيَدِ
حسبتُ رِيقتَه من ذَوْب مَبْسمِهِ لو أنَّ صِرْفَ عقار[٦٢] ذاب مِن بَرَدِ

---

[٥٨] متَّقِد.
[٥٩] نقطةٌ سوداء في الخدِّ الجميل.
[٦٠] الحزن الذي يُثِيره الهجر.
[٦١] الكَحَل: سوادٌ طبيعي يَزِين العينَ كالكُحْل.
[٦٢] خمر.

لو قيل والنفسُ رهنُ الموتِ مِن ظمأٍ ... موسى أو البارد السلسال لم أَرِدِ!
موسى تصدَّقْ على مسكينِ حبِّك لا ... تَرُدَّ كفِّي فقد باتتْ على كَبِدِي
لا تَقْذِ بالنأْيِ والإعراضِ عينَ شَجٍ ... أذاقَها فيك طعمَ الدمعِ والسُّهدِ
زُرْني فلو كنتَ تَسْخُو بالعِناقِ لَمَا ... أبقيتَ رُوحِي لها التعذيبُ مِن جسَدِي!

شغف بغير فؤاد

أَعِدْ خبرَ التَّلاقِي عن مَلُولٍ ... كأنِّي عندَه خبرٌ مُعادُ!
وطارِحْني الشُّجونَ على حذارٍ ... فبي حرقٌ يذُوبُ لها الجمادُ
فأمَّا مُقْلَتِي، واللَّحظُ حَتْفٌ ... فمذْ عَرَفَتْه أنكَرَها الرُّقادُ
يَسُوغُ ويلْتَقِي حسنٌ وذنبٌ ... وليس يَسُوغُ حبٌّ وانقيادُ
أليس مِن العجائبِ حالُ صَبٍّ ... له شغَفٌ وليس له فؤادُ!

أمنيات!

هو البَيْنُ، حتى لم يَزِدْكَ النَّوَى بُعْدًا ... ترحَّلْ قبلَ البينِ لا شكَّ من صَدَّا
أيا فتنةً في صورةِ الأنسِ صُوِّرتْ ... ويا مُفْرَدًا في الحُسْنِ غادَرْتَنِي فَرْدَا
جبينٌ، وألحاظٌ، وجيدٌ، لأجلِها ... أضاعَ الأنامُ التاجَ، والكحلَ، والعِقْدَا!
وكم سُئِل المسواكُ عن ذلك اللَّمِي ... فأخبر أنَّ الرِّيقَ قد عطَّلَ الشَّهْدَا!
ألا ليتَ شِعْري، والأماني كثيرةٌ ... وأكذَبُها في الوَعْدِ أعْذَبُها وِرْدَا!
أتأنسُ عيني بالكَرَى بعد نفرةٍ، ... ويكحل مِيلُ[٦٣] الوصْلِ مُقْلَتِيَ الرَّمْدا؟!
ويسمَحُ في ليلِ الصُّدودِ بزَوْرةٍ ... يُصيِّرُ فيها الشوقُ حُرَّ المنى عَبْدَا!
عجائب لم تُدْرَكْ، فعنقاءُ مُغْرِب ... وإقبالُ موسى أو زمانُ الصِّبا رُدَّا

[٦٣] ما يستعمل للكُحْل، وهو المعروف بالْمِرْوَد.

النهاية

أَمَا آنَ أن تَرْثِي لِحالةِ مُكْمَدِ ... فينسخُ هجرَ اليوم وصلُك في غَدِ؟
أراكَ صَرَمْتَ[٦٤] الحبلَ دُوني، وطالَمَا ... أقمتَ بذاكَ الحبلِ مُسْتَمْسِكَ اليَدِ!
وعوَّضْتَنِي بالسُّخْطِ من حالةِ الرِّضا ... ومن أُنْسِ مألوفٍ بحالةِ مُفْرَدِ
وما كنتمو عودتمُ الصَّبَّ جفوةً ... وصعبٌ على الإنسان ما لم يُعَوَّدِ
طويتَ شغاف[٦٥] القلب موسى على الأسى ... وأغريتَ بالتَّسْكابِ جفْنَ المُسَهَّدِ
وما أنت إلَّا فتنة تَغْلِبُ النُّهَى[٦٦] ... وتفعل بالألحاظِ فعلَ المُهنَّدِ
وتوَّجَكَ الرحمنُ تاجَ مَلاحةٍ ... وبهجةَ إشراقٍ بها الصُّبْحُ يَهْتَدِي
يَمِيلُ بذاكَ القَدِّ سُكْرُ شبابِهِ ... كمَيْلِ نسيمِ الرِّيحِ بالغُصنِ النَّدِي
ويهفو؛ فيَهفُو القلبُ عندَ انعِطافِهِ ... فهلَّا رأَى في العَطْفِ سُنَّةَ مُقْتَدِ؟
أبى اللهُ إلَّا أن يَعِزَّ جمالُهُ ... يسومُ[٦٧] به الأحرارَ ذِلَّةَ أَعْبُدِ!
له الطَّولُ[٦٨] إنْ أدنى، ولا لوم إنْ جفا ... على كلِّ حالٍ فهو غيرُ مُفَنَّدِ![٦٩]
أقول له — والبين زُمَّتْ رِكابُه ... وقد زاد رَوْعِي صوتُ حادٍ مُغَرِّدِ:
دنا عنكَ تَرْحالي، وما ليَ حيلةٌ ... إذا جِيلَ بين الزَّادِ والْمُتَزَوِّد
وإني، وإنْ لم يَبْقَ لي دونُكم سوى ... حديثِ الأماني مَوْعِدًا بعدَ مَوْعِدِ
لأصبرُ طَوْعًا، واحتمالًا، فربما ... صُرُوفُ اللَّيالي مُسْعِداتٌ بأسْعدِ
وأبعثُ أنفاسي إذا هبَّتِ الصَّبا ... تَرُوحُ بتسليمٍ عليكَ وتَغْتَدِي

---

[٦٤] قطعت.
[٦٥] شغاف القلب: غِلافُه.
[٦٦] العقول.
[٦٧] يُذِيق.
[٦٨] القُدْرة.
[٦٩] ملوم.

بين الواقع والرجاء

لقد كنتُ أرجو أن تكونَ مُواصِلي ... فأَسْقَيْتَنِي بالبُعْدِ فاتِحةَ الرَّعْدِ[٧٠]
فباللهِ بزِّدْ ما بقَلْبي من الجَوَى ... بفاتحةِ الأعرافِ[٧١] من رِيقِكَ الشَّهْدِ!

وصْف شاعر

كيف خلاصُ القلْبِ من شاعِرٍ ... رقَّتْ معانِيهِ عن النَّقْدِ
يَصْغُرُ نثرُ الدُّرِّ من نَثْرِه ... ونظمُه جلَّ عن العَقْدِ
وشِعْرُه الطائلُ في حُسْنِه ... طالَ على النابغةِ الجَعْدِي[٧٢]

لماذا؟

تسلَّيْتُ عن موسى بحُبِّ محمدٍ ... هُديتُ، ولولا اللهُ ما كنتُ أَهْتَدِي
وما عن قِلًى قد كان ذاك، وإنما ... شريعةُ موسى عُطِّلتْ بمحمدِ

(٦) حرف الراء

بين الحبيبين

سَلْ في الظَّلامِ أخاك البَدْرَ عن سَهَرِي ... تَدْرِي النجومُ كما يَدْري الوَرَى خَبَرِي
أبيتُ أهتِفُ بالشكوى، وأشرب من ... دمعي، وأنشقُ ريَّا ذكرِكَ العَطِرِ

---

[٧٠] يعني ابتداءَها اللَّفْظي الذي هو: ألف، لام، ميم، راء يعني «الْمُرَّ».

[٧١] بدؤها اللَّفْظي الذي هو: ألف، لام، ميم، صاد؛ أي «الْمَصَّ».

[٧٢] هو عبد الله بن قيس بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة، شاعرٌ جاهليٌّ أدْرَك النبي ﷺ وأنشده:

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم تكنْ له ... بوادِرُ تَحْمِي صفْوَه أن يُكدَّرا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكنْ له ... حليمٌ إذا ما أصْدَرَ الأمرَ أَوْرَدَا

فقال له النبيُّ: «لا يَفْضُضِ اللهُ فاك.» وقد عُمِّر حتى أدْرَك الأخطلَ، وتنازعا الشِّعرَ، ومات وهو ابن ١٢٠ سنة.

حتى أُخَيَّل أني شاربٌ ثَمِلٌ ... بين الرِّياض وبين الكاس والوَتَرِ
مَن لي به! اختَلَفَتْ فيه الْمَلاحةُ إذْ ... أَوْمتْ إلى غيرِه إيماءَ مُحْتَضِرِ!
معطَّلٌ، فالحُلَى منه محلَّأة ... تَغْنَى الدَّراري عن التقْلِيدِ بالدُّرَرِ
بخدِّه لفؤادي نسبةٌ عجبٌ ... كلاهما أبدًا يَدْمَى من النَّظَرِ
وخالُه نقطةٌ من غُنْجِ مقلَتِه ... أتى بها الحُسْنُ من آياتِه الكُبَرِ
جاءتْ من العين نحو الخدِّ زائرةً ... وراقَها الوِرْدُ فاستغْنَتْ عن الصَّدرِ
بعضُ المحاسن يَهْوَى بعضَها طَرَبًا ... تأمَّلوا كيف هامَ الغُنجُ بالحَوَرِ!
جرى القضاءُ بأنْ أشْقَى عليك وقد ... أوتيتَ سؤلك يا موسى على قَدَرِ
إنِ تَعْصِني فنِفارٌ جاءَ من رَشَأٍ ... أو تُضْنِني فمُحاقٌ جاءَ من قَمَرِ
قد مِتُّ شوقًا، ولكنْ أدَّعِي شَطَطًا ... أني سقيمٌ، ومَن للعُمْي بالعَوَرِ؟!
سأقْتَضِي منكَ حقِّي في القيامة إنْ ... كانتْ نجومُ السما تُجْزَى عن البَشَرِ
أنا الفقيرُ إلى نَيلٍ تجود به ... لو يُطرَدُ الفقرُ بالأَسْجاعِ والفِقَرِ
برَّزتُ في النَّظْم لكنِّي أقصِّرُ عن ... شِعْرٍ أُعاتِبُ فيه الليلَ بالقِصَرِ

استِنْصار

لَمَّا اشتدَّ الحصارُ على إشْبِيلِيَة سنة ٦٤٥ أنشَدَ يستَنْصِر بأُمراءِ العرب:

يا معشرَ العُرْبِ الذين توارثوا ... شِيَمَ الحَمِيَّةِ كابِرًا عن كابِرِ!
إنَّ الإلهَ قدِ اشْتَرَى أرْواحَكم ... بِيعُوا، ويَهْنِكُمو ثوابُ الْمُشْتَرِي
أنتم أحقُّ بنَصْرِ دِينِ نبيِّكم ... وبكم تمَهَّدَ في قَدِيم الأعْصُرِ

* * *

والخيل تضجرُ في المرابِطِ عِزَّةً ... ألَّا تَجُوس حريمَ رهطِ الأَصْفَرِ
كم نَكَّروا من مَعْلَمٍ، كم دَمَّروا ... من مَعْشَرٍ، كم غيَّروا من مَشْعَرِ
كم أبطلوا سُنَنَ النبي وعطَّلوا ... من حِلْيةِ التَّوْحيدِ صَهْوةَ منبر
عند الخُطُوبِ النُّكْرِ يبدو فضلكم ... والنار تُخبِر عن ذَكاءِ العَنْبَرِ
لو صُوِّر الإسلامُ شخصًا جاءكم ... عمدًا بنفس الوَامِقِ المُتَحَيِّرِ
لو أنَّه نادَى النَّصيرَ لخصَّكم ... ودعاكُمو: يا أُسْرتي يا مَعْشَري!

تعليل!

أموسى! ولم أَهْجُرْك، والله، إنما ... هجرتُ الكَرَى واللُّبَّ والأنسَ والصَّبْرَا
تركتُك لانَقْضًا لعهديَ بل أرى ... حياتيَ ذنبًا بعدَ بُعْدِك أو غَدْرَا
قنعتُ — على رغمي — بذِكْرِك وحدَه ... أُدِير عليه الخمرَ، والأدمُعَ الحمرا
أُقبِّلُ من كأسِ المُديرِ حُبابَها[٧٣] ... إذا قبَّلتْ عندَ الْمُنى ذلك الثَّغْرا

معجزات

ضللتُ بالبَدْرِ على نُورِه ... والناسُ يستَهْدُون بالبَدْرِ
أبْطَلَ موسى السِّحْرَ فيما مضى ... وجاء موسى اليومَ بالسِّحْرِ[٧٤]
مستحسَن الأوصاف، ممنوعها ... فلا تَرُمْهُ بسِوَى الفِكْرِ
كالماء في السُّحْبِ، وكالدُّرِّ في الـ ... ـلأصداف، والشادِنِ في القَفْرِ
لو أنَّه عنَّ[٧٥] لحُورِيةٍ ... ألقَتْه بين السَّحْرِ والنَّحْرِ!
ولو دعا ميْتًا بألفاظه ... إذَنْ للبَّاه من القبرِ!
درٌّ ثناياه وألفاظُه ... فلقَّبوه الكوكبَ الدُّرِّي
ما عوَّذوه العينَ بل عوَّذوا ... من عينه الناسَ هوًى يَسْرِي
كأنما الخالُ على خدِّه ... سوادُ قلبي في لَظَى الجَمْرِ
أجرى دمي في خدِّه صِبغة ... فاسودَّ منه مَوْضعُ الوَزْرِ
يا طرفَهُ المعتَلَّ! خُذْ مُهْجَتِي ... لعلَّها تَنفَعُ أو تَبْرِي!
ولا تردَّ اللحظَ عن مُقْلَتِي ... واسفِك دمي حُلوًا وخذْ أَجْرِي
يا يوسف الحُسْنِ يا سامريَّ الـ ... ـهجر أشفِقْ للهَوَى العُذْرِي
أخْشَى عليك الفيضَ من أدمعي ... وأنت في عيني كما تَدْرِي
أنت — على التحقيق — موسى فقد ... أَمِنْتَ أن تَغرَقَ في البَحْرِ

---

[٧٣] حباب الماء — بفتح الحاء: نُفَّاخاته التي تعلوه، وكذلك في الخمر.

[٧٤] يقصد بموسى الذي أبطَلَ السِّحرَ موسى الرسول، عليه السلام، وحكايته مع سَحَرة فرعون معروفة في القرآن الكريم، ويقصد بموسى الأخير محبوبَه الذي يتغزَّل فيه.

[٧٥] بدا.

جمال الطبيعة

الأرضُ قد لبستْ رداءً أخضَرَا ... والطَّلُّ[٧٦] ينثُرُ في رُباها[٧٧] جَوْهرا
هاجتْ فخِلْتُ الزَّهرَ كافورًا بها ... وحسبتُ فيها التُّرْبَ مِسْكًا أذْفَرا[٧٨]
وكأنَّ سوسَنَها يُصافِحُ وَرْدَها ... ثغرٌ يُقبِّل منه خدًّا أحمَرَا
والنهرُ ما بين الرِّياضِ تَخَالُه ... سيفًا تعلَّق في نجادٍ[٧٩] أخضرا
وجرتْ بصفْحَتِها الرُّبا فحسبتُها ... كفًّا ينمِّق في الصحيفة أسْطُرا
وكأنه — إذْ لاح — ناصعُ فضة ... جعلتْه كفُّ الشمس تِبْرًا أصفرا
والطيرُ قد قامتْ به خُطَباؤه ... لم تتَّخذ إلَّا الأراكةِ مِنْبَرَا

الشاعر الموسيقار

تنقادُ لي الأوتارُ وهي عصيةٌ ... فأذِلُّ منها كلَّ ذي استكبارِ
ولقد أَزُورُ مع القِسيِّ أهلَّةً ... فأُعِيرُهن دوائرَ الأوتارِ

العاشق المودع

ولَمَّا عزَمْنا ولم يَبْقَ مِن ... مُصانَعةِ الشوقِ غيرُ اليَسِيرِ
بكيتُ على النَّهرِ أُخْفِي الدُّموعَ ... فعرَّضها لونُها للظُّهورِ
ولو علِمَ الركبُ خَطْبي[٨٠] إذنْ ... لَمَا صَحِبونيَ عندَ المَسِيرِ
إذا ما سَرَى نَفَسِي في الشِّراعِ ... أَعَادَهُمو نحوَ حمص[٨١] زفيري
وقَفْنا سُحَيْرًا[٨٢] وغالبتُ شوقي ... فنادى الأَسَى حُسْنَه مَن مُجِيري؟

---

[٧٦] المطر الضعيف.

[٧٧] جمع ربوة، وهي ما ارتفع من الأرض.

[٧٨] واضح الذفر؛ أي: الريحة الزكية.

[٧٩] حمائل السيف.

[٨٠] الخَطْب: سبب الأمر.

[٨١] هي مدينة إِشْبِيلِيَة، وقد كانتْ تُسمَّى بحمص.

[٨٢] تصغير سَحَر، وهو ما قُبَيْل الصبح من الوقت.

أنـارٌ وقـد وَقَـدَتْ زفـرتـي ... فصار الغدوُّ كوقتِ الهَجِيرِ؟
ومـنَّ الـفـراقُ بـتـوديـعـه ... فشبَّهتُ ناعي النَّوَى بالبَشِيرِ
وقـبَّـلـتُ وجْـنَـتَـه بـالـدُّمـوعِ ... كما الْتُقِطَتْ وَردةٌ من غَدِيرِ
وردتُ، وصدَّقْتُ عندَ الصُّدُورِ ... حديثَ قلوبٍ نأَتْ عن صُدُورِ
وقبَّلتُ في الترب منه خُطًا ... أُمَيِّزها بشَمِيمِ العَبِيرِ[٨٣]
أموسى! تَمَلَّ[٨٤] لذيذَ الكَرَى ... فليليَ بعدَكَ ليلُ الضَّريرِ
تغرَّبَ نوميَ عن ناظري ... وباتَ حديثُ المُنَى في ضميري
وما زادَك البينُ بُعْدًا سوى ... سَنَا الشمسِ من مُنجِدٍ أو مُغِيرِ[٨٥]
طردتُ الرجا فيك عن حيلتي ... ووكَّلْتُه بانقلابِ الأُمُورِ

ليلة وصال

زار ليلًا، فظلْتُ من فرحتي أحـ ... ـسب — إذْ زارني — الحقيقةَ زُورَا
قلتُ: هذا خيالُه، ليس هذا ... شخصَه، والغرامُ يُعْمِي البَصيرَا
ولكم بتُّ أحسبُ الطَّيْفَ شَخْصًا ... أحسبُ الحُسْنَ لا يَزُورُ غُرُورَا
سدلتْ[٨٦] ليلةُ الوصال علينا ... ظلمةً تَمْلَأ الخواطرَ نُورَا
ثُبْتُ منها والبدرُ يُسْفِرُ في الأفـ ... ـق حَسُودًا، والنجمُ يَهْفُو غَيُورَا
شاربًا في الأقداحِ نجمُ شعاع ... لاثِمًا في الأطواقِ بدرًا مُنِيرَا
مِتُّ قبلَ اللقاءِ شَوْقًا، فلمَّا ... جادَ لي باللقاءِ مِتُّ سُرورَا
أنا ميْتٌ في الحالتين ولكنْ ... هجَرَ الموتُ عاشِقًا مَهْجُورَا

---

[٨٣] أخلاط حلوة الرائحة أو الزعفران.

[٨٤] تمتع به.

[٨٥] سنا الشمس: ضياؤها، والمنجد مَن اعتلا نَجْدًا؛ أي مرتفعًا من الأرض، والمُغِير مَن هبط غورًا؛ أي منخفضًا منها، ويقصد أنك في بُعْدك هذا ماثلٌ أمامي أيضًا؛ لأنَّك كالشمس لا تحتجب عن المعتلي نجدًا أو النازل غَوْرًا.

[٨٦] أرْخَتْ.

حول قُبْلة

يقولون: لوْ قبَّلْتَه لاشْتَفَى الجَوَى[٨٧] أيطمعُ في التَّقْبيل مَن يعشَقُ البَدْرا؟
ولو غفلَ الواشونَ قبَّلْتُ نعْلَه! أنزِّهه أن أذْكُرَ الجِيدَ والثَّغْرَا
ومَن لي بوعدٍ منه أشْكُو بخُلْفِه؟ ومَن لي بعهْدٍ منه أشْكُو به الغَدْرا؟
وما أنا مَن يستحمِلُ الريحَ سرَّه أغارُ حِفاظًا أن أُبِيحَ له السِّرَّا!
يقول ليَ اللاحي وقد جدَّ بي الهوى ليُلْهِمَني في سوءِ تخييله الصبرا!
ألم تُرْوَ قطُّ: اصْبِرْ لكلِّ مُلِمَّةٍ؟ فقلتُ: أما تُرْوَى: لعلَّ له عُذْرَا؟
إذا فئةُ العُذَّالِ جاءتْ بسِحْرِها ففي لحْظِ موسى آيةٌ تُبْطِلُ السِّحرَا[٨٨]

حسناء!

وزاهرةِ المرأى، معطرةِ الشذا قد ابتُدِعَتْ خَلْقًا من المسك والنورِ
رقَتْ مثل مذعورِ الظِّباءِ، وإنما مشَتْ مثل ما يمشي القَطَا غيرَ مَذْعُورِ
وقد طرقتْ بِيضَ البِنانِ بأسودٍ كما تَستمدُّ المسكَ أقلامُ كافورِ

بين يدي حبيب مريض

لك العذرُ إنْ لم أُعِدْ زَوْرةً ولو قيل أحسَنَ ثم اعتَذَرْ
علمت بأنيَ جلمودُ صخرٍ فلو أنني عدتُ قالوا مِكَرْ[٨٩]
فديتُك! إني امرؤٌ قد سَرَى إلى قدمي مِن لساني حَصَر[٩٠]
لئنْ مسَّ جسمَك حَرُّ الضَّنا ولوَّح[٩١] ذاك المُحيَّا الأغَر

---

[٨٧] الحُرْقة وشدة الوَجْد.

[٨٨] إشارة إلى قصة السَّحَرة مع كليم الله موسى، عليه السلام، إذْ أَلْقَوْا حبالَهم وعِصِيَّهم وقالوا: بعِزَّة فرعون إنا لغالبون، فأَلْقَى موسى عصاهُ، فإذا هي تَلْقَفُ ما يأفِكون!

[٨٩] من كرَّر الشيء إذا أعاده.

[٩٠] عجز.

[٩١] غيَّر بتشديد الياء.

فما الحَرُّ في الشمس مُستغرَبٌ ولا عجبٌ لشُحوبِ القَمَر
وكم ذاقَ جَمْرًا أخوكَ النُّضارُ ومُشْبِهُك المَشْرَفيُّ الذَّكَر[٩٢]
تطلَّعتَ كالصَّحْوِ بعدَ الغُيُومِ وأَمْسَكْتَ مثلَ امتِساكِ المَطَر
حديث العُلى عنك مُستَحْسَنٌ حديثٌ إذا أمْتَعَ النفسَ سَر
تحقَّق قولُك والفصْلُ فيه فصحَّ العيانُ، وصحَّ الخَبَر
وكم باطلٍ ذائعٍ قَيَّضَتْ[٩٣] أباطيلَه تُرَّهاتٌ[٩٤] أُخَر!
وكم أنبَتَ الشعرَ وردُ الخُدودِ وسَلَّ عليها سُيوفَ الحَوَر؟!

أبكار الأشعار

أكُئُوسًا بدَتْ بأَيْدِي سُقاةٍ أم نُجُومًا تَسْعَى بها أَقْمارُ؟
وكأنَّ الإبريقَ جِيدُ غَزالٍ دمُ ذاك الغَزالِ فيه العَقَارُ
قهوةٌ[٩٥] إنْ جرَى النَّسيمُ عليها كاد يعلُوه مِن سَناها[٩٦] احْمِرارُ
نال منها الصِّبا — ولا بدَّ — سُكْرًا فلهذا يُعزَى إليها العِثارُ
حثَّها من كئوسه — رانياتٌ عن فتورٍ بلحْظِه — خَمَّارُ
فتنةٌ للعُيون تُدْعَى بغُنْجٍ حيَّرتْ ذا النُّهى، وقيل احْوِرارُ
كيمينِ ابن خالد[٩٧] حين تُدْعَى راحةً، وهي دِيمةٌ مِدْرارُ[٩٨]

---

[٩٢] المشرفي: سيفٌ يُنسَب إلى مشارف، وهي قُرًى من أرض العرب، وسيفٌ ذَكَر أي ذو ماء، وهو الحديد المصنوع الذي يُعرَف عند العامة بالمسقِيِّ.

[٩٣] أتاحتْ.

[٩٤] جمع تُرَّهة، فارسي معرب، استُعيرتْ للباطل.

[٩٥] القهوة والعَقَار هما الخمر.

[٩٦] ضيائها.

[٩٧] قائدٌ عسكريٌّ ووزيرٌ موصوفٌ بالكرم، ورِقَّة الشمائل، والعَطْف على الأدب والأدباء، واختَصَّ بالقِسْط الأَوْفر من ذلك شاعرنا حتى فاز منه بالمِدْحة التي تراها مع أنَّ ابن سهْل غير مدَّاح، كما اختَصَّه بمرثيةٍ بديعةٍ ستمرُّ بك، إنْ شاء الله.

[٩٨] الديمة: سحابة فيها ماء.

لستُ أدْري يُسْرَيْن للعُسْر إلَّا ... راحتَيْه إذا عتا الإقْتارُ
بِدَرُ المال كالبُدُور، ولكنْ ... نالَها مِن ندا يدَيْه السِّرارُ[٩٩]
تَسكبُ الجُودَ عند رحمةِ عافٍ ... كرحيقٍ على الغِناءِ يُدارُ
أَرْجِه، فالْمُنَى طِوالٌ لراجـ ... ـيه، وأيدي الخطوب عنه قِصارُ
تَستَمِدُّ السحابُ بالبَحْرِ لكنْ ... مِن عطاياهُ تَستَمِدُّ البِحارُ
ماجدٌ حازَ في المعالي احتفالًا ... فهو في طرقِه إليها اختِصارُ
جاءَنا آخِرَ الزمانِ كما تفْـ ... ـتَرُّ عندَ الأصائِلِ الأَزْهارُ
وذُبابُ[١٠٠] الهنديِّ أشرفه، ليـ ... ـس عليه من التأخُّر عارُ
احمَدُوا خَلْقَه ابتداءً وعَوْدًا ... فهْو كالخَمْر لم يَشُبْها الخمارُ
بطْشُه في سَنَا البَوارِقِ خَطْفٌ ... وتأنِّيه في الجمالِ وَقارُ
طبَّقَ الأرضَ ذِكْرُه فله في ... كلِّ أفقٍ مع الهواء انتشار
ومع الشمس أينَ لاحتْ شُروقٌ ... ومع الريح حيث طارتْ مَطارُ
لقبُ المجْدِ فيه صِدقٌ، ولكنْ ... هو لفظٌ لغيرِه مُسْتَعارُ
زارَنا وهْو سُؤْلُنا وكذا الغيـ ... ـثُ يَزُورُ الثَّرَى، وليس يُزارُ
فلَوَ انَّ البُرُوجَ قامتْ إلى البَدْ ... رِ اشتياقًا قامتْ إليه الدِّيارُ
نزلتْ نحوَه النِّجادُ خُضوعًا ... وتعالتْ شَوْقًا له الأَغْوارُ
حيثما كان فالزمان ربيع ... والليالي بأُنْسِه أسْحارُ
والحَصى، وهْو تحت نعْلَيْه، دُرٌّ ... وترابُ البطحاء مسكٌ يُثارُ
لو يُنادَى: أين الجوادُ بحقٍّ؟ ... قال كلٌّ إلى الوَزيرِ يُشارُ
«جُدْ على يوسفٍ بِمصر شريش[١٠١]! ... وعطاياك نِيلُها المُستَجارُ»!
حسَدَتْها العراقُ، والأرضُ تنتا ... شُ فبعضٌ منها ببعضٍ يَغارُ
عُودُه في الإحسان عُودُ نُضارٍ ... وسجاياه — إنْ مُسِكْنَ — نَهارُ
بك عزَّتْ لِمَا حوَتْك، ولولا الرَّ ... احِ لم تُمتَدَح دِنانٌ وَقارُ

---

[٩٩] البِدَر: جمع بِدْرة، وهي عشرة آلاف درهم، والسِّرار الاختفاء، ويُريد أنَّ مالَه كثيرٌ يُذْهِبه الكرم.

[١٠٠] ذباب السيف نهايته العليا.

[١٠١] هكذا وُجدتْ في جميع المصادر التي راجعناها.

أيُّـهـذا الـسـحـابُ، دونَـك مـنِّـي زاهـرًا مـن كِـمـامـهـا الأقـطـارُ
بك يَسْمُو حُلَى القَريضِ، وللغُنـ ـج بعينِ الظَّبْيِ الغَريرِ افتِخارُ
نـضِـرتْ لـوْ أنَّ الـنـجـومَ عُـقُـودٌ فـي حُـلاهـا، أو الـهـلالَ سِـوارُ
لا تَلُمْ في الحياءِ هذِي القوافي لـيس بِـدْعًـا أن تَـخْـجَـلَ الأَبْـكـارُ

مثل العاشق في النحو

رقَّتْ عواملُه، وأحسبُ رُتْبَتِي بُنِيَتْ على خفْضٍ فلن تتغَيَّرا!

مثل المعشوق في النحو

تَنْأَى وتَدْنُو والْتِفاتُك واحدٌ كالفِعْلِ يَعمَل ظاهرًا ومُقَدَّرا!

(٧) حرف السين

النهاية!

أضـاعَ وَقـاري مَـن عـلِـقْـتُ جـمـالَـه فـيـا زهـرةً قـد زلـزلَـتْ جَـبَـلًا رَاسِـي
ومـا ضـرَّ لـو وَاسَـى وسـلَّـى بـزَوْرةٍ خلـيٌّ جرى فيه القضاءُ على راسي
فـألـقُـطُ دُرًّا مـن لـذيـذ حـديـثـه وأشربُ طيبَ العيش مِن فضْلةِ الكاسِ
وأرخصتُ عمري فيه، وهْو ذَخِيرتي وأنفقتُ فيه كنزَ صبرِي وإيناسي
وغـادرتُ رأيِـي بـالـعَـراءِ مُـذَمَّـمًـا وأَوْحَشتُ نفسي فيه من سائر الناسِ
وأفسدتُ بين النوم فيه وناظري وأكَّدْتُ وُدًّا بين فِكْري ووسواسي
سأصرف صرفَ الحرف عند مطامِعي وآوي بهذا القلبِ منه إلى اليأسِ
أمَـا حـيـلـةٌ فـيـه فـيَـعـشَـقُ سـاعـةً على رُقيةٍ أَرقِي بها قلبَه القاسِي؟!

أمنيات

مضى الوَصْلُ إلَّا مُنْية تبعثُ الأسى أُدَارِي بها هَمِّي إذا الليلُ عَسْعَسا
أتاني حديثُ الوصل زُورًا على النَّوَى أَعِدْ ذلك الزُّورَ اللذيذَ المؤانسا

ويا أيُّها الشوقُ الذي جاء زائرًا ... وجدْتَ الأماني خُذْ قلوبًا وأنفُسا
ويا أَرَقَ الهِجْرانِ! باللهِ خلِّ لي ... من النوم ما أَقْرِي الخيالَ المُعَرِّسا
كسانيَ موسى من سقامِ جُفُونِه ... رداءً وأسقاني من الحبِّ أَكْؤُسا
فلا صرَّدَ اللهُ الشرابَ الذي سقى ... ولا خلعَ اللهُ الرداءَ الذي كسا
تلاقتْ لشكوى البَيْنِ أنفاسُنا فقُلْ: ... شذا الرَّوْض في حَرِّ الهَجِيرِ تنفَّسا
ونادَيْتُ بالتَّرحالِ عنه تصنُّعًا! ... لعل النَّوى منه تُلَيِّن ما قَسا
وقلتُ: عساه إنْ رحلتُ يَرِقُّ لِي ... وقد نسَخَتْ «لا» عندَه ما دعَتْ «عسى»
وقال: ارضَ هِجْراني بديلَ النَّوى، وقل ... لعلَّ منايانا تحوَّلْنَ أبْؤُسا؟
أنادِي سُلوِّي للذي حلَّ منك بي ... كأني أنادِي أو أكلِّم أخرسا!

ساعة وصال

هذا أوانُ فَضِيحتي لبَّيك يا ... داعي الهوى، لا عِطْرَ بعدَ عَرُوسِ
أو ما ترى الأيامَ كيف تبسَّمتْ ... عن وَصْلِ موسى بعدَ طولِ عُبُوسِ؟
يسقى، وزهرُ الرَّوْض منه طالع ... في وَجْنةٍ وملابسٍ وكئوسِ
شتَّى يُحسِّنها التشابهُ مثل ما ... تُستحسَنُ الألفاظُ للتَّجْنِيسِ

وقفة على خليج

كيف ترى زَوْرةَ الخليج، وقد ... صبَّغ وجهَ العشيِّ بالورسِ؟
ورقَّ ثوب الأصيل، وانفتحتْ ... في وَجْنة النَّهر وردةُ الشمس
تلهو بذَوْب اللُّجيْن مطَّردًا ... فيه، وذَوْب النُّضار في الكأسِ

توشيح

هل دَرَى ظبْيُ الحِمَى أنْ قد حَمَى ... قلبَ صبٍّ حلَّه عن مَكْنَسِ؟
فهْو في حَرٍّ، وخفقٍ مثل ما ... لعبتْ ريحُ الصَّبا بالقَبَسِ

* * *

يا بُدورًا أشرقتْ يوم النوى غُررًا تَسْلُك بي نهجَ الغَرَرْ
ما لنفسي في الهوى ذنبٌ سوى منكم الحُسْنى، ومن عيني النَّظَر
أجتني اللذَّاتِ مكلومَ الجوى والتداني من حبيبي بالفِكَر
كلَّما أشكوه وَجْدِي بسما كالرُّبا بالعارض[١٠٢] المنبجسِ
إذ يُقِيم القطرُ فيها مأتمًا وهْي من بهجتها في عرسِ

* * *

غالبٌ لي، غالبٌ بالتؤدةْ بأبي أفدِيهِ من جافٍ رقيق!
ما علمنا مِثْل ثَغرٍ نضَّده أقحوانًا[١٠٣] عصرتْ منه رحيق
أخذتْ عيناه منه العربدةْ وفؤادي سُكْرَه ما إن يُفِيق
فاحِم اللِّمة[١٠٤] مَعسولُ اللَّمَى ساحر الغُنْجِ شَهِيُّ اللَّعَسِ[١٠٥]
وجهُه يَتْلُو الضُّحى مبتسما وهو من إعراضِه في عَبَسِ

* * *

أيُّها السائلُ عن جُرْمِي لدَيْه لي جزاءُ الذنبِ، وهْو المذنِبُ
أخذتْ شمسُ الضُّحى مِن وَجْنَتَيْه مَشْرِقًا للشمسِ فيه مَغْرِبُ
ذهبَ الدمعُ بأشواقِي إلَيْه وله خدٌّ بلَحْظِي مُذْهِبُ
يُنبِتُ الوردَ بغرسٍ كلَّما لاحظَتْه مُقْلَتي في الخُلَسِ[١٠٦]
ليتَ شِعْري! أيُّ شيء حرَّما ذلك الوردَ على المُغْتَرِسِ؟![١٠٧]

* * *

[١٠٢] السحاب يعترض في الأفق.

[١٠٣] نبتٌ طيب الرِّيح حواليه ورقٌ أبيض، ووسطه أصفر، وهو المعروف في علم النبات بالبابونج.

[١٠٤] الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن.

[١٠٥] اللون الضارب إلى السواد يكون في الشَّفة فيكسوها حلاوةً وجمالًا.

[١٠٦] جمع خُلْسة، وهي الفُرْصة.

[١٠٧] الزارع، ويَعنِي نفسَه؛ لأنَّه يقول إنِّ نظرتَه يَحْمَرُّ منها خدُّ حبيبه حتى يُشْبِه الوردةَ، فهو إذن الزارعُ لهذا الوردِ، فلماذا لا يقتطف منه؟!

كلَّما أشكو إليه حرقي ... غادَرَتْني مقلتاه دَنِفا[١٠٨]
تركتْ ألحاظُه مِن رمقي[١٠٩] ... أثرَ النمل على صُمِّ الصَّفا[١١٠]
وأنا أشكره فيما بَقِي ... لستُ ألْحَاه على ما أتْلَفا
فهو عندي عادلٌ إنْ ظَلَما ... وعَذُولي نطقُه كالخَرَسِ
ليس لي في الأَمر حكمٌ بعدَما ... حلَّ مِن نفسي محلَّ النَّفَسِ

* * *

أضرمَ الدمعَ بأحشائي ضرام ... تتلظَّى كلَّ حين ما تشا
هي في خدَّيْه برد وسلام ... وهي ضرٌّ، وحريقٌ في الحشا
أَتَّقِي منه على حكم الغرام ... أسدًا وَرْدًا،[١١١] وأهواه رَشَا
قلتُ لَمَّا أنْ تبدَّى معلمًا ... وهو مِن ألْحاظِهِ في حَرَسِ:
أيُّها الآخِذُ قلْبي مغنمًا! ... اجعلِ الوصْلَ مكانَ الخُمسِ![١١٢]

توشيح

وقد عارَضَه فيها الوزير أبو عبد الله بن الخطيب، فقال:

جادَك الغيثُ إذا الغيثُ هَمَى ... يا زمانَ الوصلِ بالأندَلُسِ
لم يكن وصْلُك إلَّا حُلُما ... في الكَرَى، أو خلسةَ المُخْتَلِسِ

* * *

إذْ يقول الدهر أسباب المنى ... تنقل الخطوَ على ما ترسُمُ

---

[١٠٨] بكسر النون وفتحها، يعني مريضًا.

[١٠٩] الرمق: بقية الرُّوح.

[١١٠] جمع صفاة: وهي الصخرة الملساء.

[١١١] صفة تُقال للأسد، ذي اللون الذي بين الكُمَيْت والأشقر، وتُقال كذلك للفَرَس.

[١١٢] يُريد أن يجعلَ قلبَه غنيمةَ حربٍ بين قلبه وعيون حبيبه، فيَجمُل أنْ يكون الوصلُ مكانَ الزَّكاة الوارِدة في آيةِ الغنيمة.

زُمَـرًا بـيـن فُـرادَى، وثُـنَـى ... مثلَ ما يدعو الوفودَ الموسِمُ
والحيا قد جلَّل الرَّوضَ سَنا ... فسَنا الأزهارِ فيه تَبْسُمُ
ورَوَى النعمان عن ماءِ السما ... كيف يَرْوِي مالِكٌ عن أنَسِ؟!
فكساه الحسنُ ثوبًا معلمًا ... يزدهي منه بأبْهَى مَلْبِسِ

* * *

في ليالٍ كتمتْ سِرَّ الهوى ... بالدُّجى، لولا شموسُ القَدَرِ
مالَ نجمُ الكأس فيها وهوى ... مستقمَ السَّيْرِ سعدَ الأَسَرِ
وطرٌ ما فيه من عيبٍ سوى ... أنَّه مرَّ كلَمْح البَصَرِ
حين لذَّ النومُ مِنَّا أو كما ... هجمَ الصبحُ نجومَ الحَرَسِ
غارتِ الشهب بنا، أو ربما ... أثَّرتْ فينا عيونُ النَّرجِسِ
أيُّ شيء لامرئٍ قد خلَصَا ... فيكون الرَّوْض قد كنَّنَ فيه
تنهب الأزهارُ فيه الفُرَصا ... أمنتْ من مَكْرِه ما تتَّقِيه
فإذا الماء تناجى، والحصى ... وخلا كلُّ خليل بأخِيه
تُبْصِر الوردَ غَيُورًا بعدما ... يكتَسِي من غَيْظِه ما يَكْتَسِي
وترى الآسَ لبيبًا فهمًا ... يسرق الدمعَ بأدنى فرس

* * *

يا أُهَيْلَ الحيِّ من وادي الغَضَا ... وبقلبي مسكنٌ أنتم بهِ
ضاقَ عن وَجْدي بكم رحبُ الفضا ... لا أُبالِي شرقَه مِن غَرْبِه
فأَعِيدوا عهدَ أُنْسٍ قد مضى ... تُنقِذوا عائذَكم مِن كَرْبِه
واتقوا الله وأَحْيُوا مُغْرَمًا ... يَتَلاشَى نفسًا في نفس
حبس القلبُ عليكم كرمًا ... أفترضَوْن خرابَ الحبس؟!

* * *

وبقلبي فيكمو مُقْتَرِبُ ... بأحاديث المُنَى، وهْو بَعِيد
قمر أطلعَ منه المَغْرِبُ ... شقوة المُغرَى به وهو سَعِيد
قد تساوَى محسنٌ ومُذْنِبُ ... في هواه بين وعدٍ، ووَعِيد
ساحرُ المُقْلة، مَعْسُولُ اللَّمَى ... جالَ في النفس مجالَ النفَسِ

سدَّد السهمَ، وسمَّى، ورَمَى ... بفؤادِي نهبةَ المُفْتَرِس
إنْ يكنْ جارَ، وخابَ الأملُ ... وفؤادُ الصَّبِّ بالشوقِ يَذُوب
فهْو للنفسِ حبيبٌ أوَّلُ ... ليس في الحبِّ لمحبوبٍ ذُنُوب
أمرُهُ مَحتَمَلٌ، مُمْتَثَلُ ... في ضلوعٍ قد براها، وقُلُوب
حكم اللحْظ بها فاحتكما ... لم يُراقِبْ في ضعافِ الأنفُسِ
يُنصِف المظلومَ ممَّن ظَلَما ... ويُجازِي البَرَّ منها والْمُسِي

* * *

ما لقلبي كلَّما هبَّتْ صَبَا ... عادَه عِيدٌ من الشوق جديد
كان في اللَّوحِ له مُكْتَتَبا ... قوله: «إنَّ عَذابِي لَشَديد»
جلبَ الهمَّ له والوَصَبا ... فهو للأشْجان في جَهْدٍ جَهِيد
لاعجٌ في أضلُعِي قد أَضْرَما ... فهْيَ نارٌ في هشيم اليَبَسِ
لم تدَعْ من مُهْجتي إلَّا الذما ... كبَقاءِ الصُّبْح بعدَ الغَلَسِ

* * *

سلِّمي يا نفسُ في حكم القضا ... واعمُرِي الوقتَ برُجْعَى ومَتَاب
واتركي ذِكْرَى زمانٍ قد مَضى ... بين عُتْبَى قد تقَضَّت وعِتاب
واصرفي القولَ إلى المولَى الرِّضى ... ملهِم التوفيق في أمِّ الكتاب
الكريم المُنتَهَى والمُنتَمَى ... أسد السَّرح وبدر المجْلِسِ
ينزلُ النصرُ عليه مثل ما ... ينزلُ الوَحْيُ برُوح القُدُسِ

(٨) حرف الشين

بين الهند والحبش!

وَشَى بسِرِّيَ في موسى وأعْلَنَه ... خدٌّ يُرِيك طرازَ الحُسْنِ كيفَ وُشِي
تهتزُّ في بُرْدِه ريحانةٌ شربتْ ... ماءَ الصِّبا، يا له ريًّا ويا عَطَشِي!
هل خالَه بدمي، أم سيف ناظِره؟ ... قد ضاع ثأريَ بين الهندِ والحَبَشِ![١١٣]

[١١٣] يعني بالهند سُيوفَ النَّواظِر، وبالحبش: خالَ الخدِّ.

أَوْدَى بقلْبِيَ مِن ذا الصُّدْغِ عَقْرَبُه لو أنَّ دِرْياقَ ذاكَ الثَّغْرِ مُنْتَعِشِي
ترى العواذلَ حولي كالفَراش وقد حاموا فأحرقْتُهم بالشوقِ في فرُشِي

(٩) حرف الضاد

ضِدَّان مجتَمِعان!

طمحتَ بأجْفاني فأنسَيْتَها الغَمْضا وأجنَيْتَنِي مِن وجنَتَيْك هوًى غَضَّا
أيَقبَلُ شوقي سلوةً عن مُقَبَّلٍ[١١٤] بسومِ ختام[١١٥] الصبر خاتَمُه فضا
أموسى! أيا بعضي وكلِّي حقيقة وليس مجازًا قوليَ الكلَّ والبعضا
خفضتَ مكاني إذْ جزمتَ[١١٦] وسائلي فكيف جمعتَ الجزمَ عندِيَ والخَفْضا؟[١١٧]
شددت بحبل الشمس منك أناملي لحَظِّي، وإنَّ الحظَّ يقْطَعُها عَضَّا

الشمس حين الشَّفَق

صرِّحْ بما عندي، ولو ملأ الفضا ما لي وللتَّعْريضِ فيمَن أَعْرَضا
لي شادنٌ صادَ الأسودَ، وخُوطةٌ[١١٨] أَلْقَى الكميُّ[١١٩] لها الذَّوابل مَعْرِضا
غصنٌ منابتُه القلوب، وكوكب ما نوءُهُ[١٢٠] إلَّا المدامع فُيَّضَا
ما طال ليلي بعدَه! بل ناظري يأتي الصباحُ فلا يراهُ أبْيَضا
أبكي ويضحك راضيًا بصبابتي فالصَّبُّ يَجْنِي السُّخْطَ مِن ذاك الرِّضَا

---

[١١٤] ثغر.
[١١٥] ضاحِك.
[١١٦] قطعتَ.
[١١٧] إشارة إلى ما في علم النحو من أنَّ الجزمَ خاصٌّ بالأفعال، والخفضَ خاصٌّ بالأسماء، ولن يَجْتَمِعَا قطُّ.
[١١٨] الغصن الناعم الذي أتمَّ سنة.
[١١٩] الشجاع المتستِّر بالدِّرْع.
[١٢٠] سقوط نجم في المغرب، وطُلوع رَقِيبِه من المشرق، وكانتِ العرب تَنسُب الأمطارَ والرياحَ، والبردَ والحرَّ إلى الطالِع منها.

لا تُـلْـقِ أنـفـاسِـي بـثَـغْـرِك، إنَّـه ... بَرَدٌ أخافُ عليه مِن جَمْرِ الغَضَا
طار الكَرَى، لكنَّ وَجْدِي قُصَّ في ... وَكْرِ الضُّلوع فلم يُطِقْ أن يَنْهَضا
أصبُو إلى قصص الكَلِيمِ[١٢١] وقومِه ... قصدًا لذِكْرِك عندَها وتعرُّضا
أشكو إلى الحِدَقِ المِراضِ وضَلةٌ[١٢٢] ... أن يشتكي هدفٌ إلى سهمٍ مَضَى
بَلْوَى على القلبِ المُعذَّبِ جرَّها ... لَحْظِي الظَّلُومُ، ولحظُ موسى، والقَضَا!

(١٠) حرف العين

مدحة نبوية

تُنازِعُني الآمالُ كَهْلًا ويَافِعًا[١٢٣] ... ويُسْعِدني التعليلُ لو كان نافِعا
وما اعتنقَ العليا سوى مفرد غد ... لهولِ الفَلا، والشوق، والنوق رابعا
رأى عَزَماتِ الحقِّ قد نَزَعَتْ به ... فساعَدَ في الله النَّوَى والنَّوازِعا

* * *

وركبٍ دعَتْهم نحوَ «يثربَ»[١٢٤] نيةٌ ... فما وجدتْ إلَّا مُطِيعًا وسَامِعا
يُسابِقُ وخدُ العِيسِ[١٢٥] ما اسودَّ منهمو ... فيفنون بالشوقِ المَدَى والمَدَامِعا
سقَى دمعُهم غرسَ الأسى في ثَرَى الجَوَى ... فأنبتَ أزهارَ الشُّجونِ الفَواقِعَا[١٢٦]
فذاقوا لبانَ الصِّدقِ مَحْضًا لعزهم ... وحرَّمَ تَفْريطي عليَّ المَرَاضِعا
تلاقَى على وادي اليَقِينِ قلوبُهُم ... خوافق يَذْكُرْنَ القَطا والمَشارِعا
قلوبٌ عرَفْنَ الحقَّ بالحقِّ وانطَوَتْ ... عليها جُنُوبٌ ما أَلِفْنَ المَضَاجِعَا

---

[١٢١] يعني نبيَّ الله موسى، عليه السلام، ومحبوبه سَمِيُّ هذا النبي الكريم الذي سُمِّيَ كَلِيمًا لأنَّ الله كلَّمه قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.

[١٢٢] غير رشاد.

[١٢٣] اليافِع: الطفل الناشئ، والكَهْل الرجل الذي جاوَزَ الثلاثين وخطَّه الشيب.

[١٢٤] مدينة النبي ﷺ.

[١٢٥] العيس: الجِمال، والوخد إسراعُها في المشي.

[١٢٦] ذات اللون الأصفر، وهي صفة لأزهار.

إذا ما انثَنَوْا أو رجَّعوا الذِّكْرَ خِلْتَهم غُصُونًا لِدانًا، أو حَمامًا سَواجِعا
تُضِيءُ من التَّقْوَى خبايا صدورهم وقد لَبِسوا الليلَ البَهِيمَ مَدارِعَا
تكاد مناجاةُ النبي محمدٍ تنمُّ بها مِسْكًا على الشَّم ذائِعا
تخالُهُمُ النبتَ الهشيم تغيَّرا وقد فتَقَوا رَوْضًا من الذِّكر يانِعا

* * *

خذوا القلبَ يا ركبَ الحجاز فإنني أرى الجسمَ في أَسْرِ العلائِقِ قابِعا
ولا تُرْجِعوه إنْ قَفَلْتم فإنما أمانتُكم ألَّا تَرُدُّوا الوَدائِعا
مع الجَمَراتِ ارْمُوه يا قومِ إنه حصاةٌ تلقَّتْ من يدِ الشوقِ صارِعَا
تخلَّصَ أقوامٌ، وأسْلَمَني الهوى إلى عِلَقٍ سَدَّتْ عليَّ المطامِعَا
هُمُو دخلوا بابَ القبول بقَرْعِهم وحسبيَ أنْ أبْقَى لسِنِّيَ قارِعا!
أيَنفكُّ عَزْمي عن قُيودٍ ثقيلة؟ أيَمْحُو الهوى عن طِينةِ القلبِ طابِعا؟
وتُسعِف «ليتٌ» في قضاءِ لُبانَتِي ويَترُكُ «سوفٌ» فعلَ عزمي المُضارِعا؟
إذا شرَّق الأرشادُ خابتْ بصيرتي كما بعثتْ شمس السرابَ المُخادِعا!
فلا الزجرُ ينهاني، وإن كان مُرْهِبًا، ولا النُّصْحُ يَثْنِيني، وإنْ كان ناصِعًا
فيا مَن بناءُ الحرف خامَرَ طبعَه! فصارَ لتأثير العواملِ مانِعَا
بلغتَ نصابَ الأربعين فزَكِّها بفعلٍ تُرى فيه مُنِيبًا ورابِعا
وبادِرْ بوادي السمِّ إنْ كنتَ راقيًا وعاجِلْ رُقوعَ الفَتْقِ إنْ كنتَ راقِعا
فما اشتبهتْ طُرْقُ النجاة، وإنما ركبتَ إليها مِن يَقِينك طالِعا

اعترافات!

خضعتَ، وأمرُك الأمرُ المُطاعُ وذاع السِّرُّ، وانكشفَ القِناعُ
وهل يَخفَى لذِي وَجدٍ حديثٌ؟ أتَخْفَى النارُ يَحْمِلُها اليَفاعُ؟![١٢٧]
أشاعوا: أنَّنِي عبدٌ لموسى! نعم! صَدَقوا عليَّ بما أشاعوا
وقد سكتَ الوُشاةُ اليوم عنِّي أقرَّ الخصمُ، وارتفع النزاعُ

[١٢٧] ما ارتفع من الأرض.

عبدتُ هواكَ ما استَهْوَى عفافي ... كـأنَّ الـوُدَّ وَدٌّ أو سُـواعُ[١٢٨]
بـعـثتُ وسـيـلـةً لـك مـن وِدادٍ ... فصادفَ وفدَها منك الضِّياعُ
هلكتُ بما رجوتُ به خلاصي ... وقد يُرْدِي سفـينَتَه الشِّراعُ
نَعَى سَهَري الخيالَ، فهل رُقادٌ ... يُعارُ لوَصْلِ طَيْفِك أو يُباعُ
لـقـد أَرْبَـى هـواك عـلـى فـؤادي ... كما أربتْ على الأدبِ الطِّباعُ
أخاف عليك لو أشكوك بَثِّي[١٢٩] ... مشافهةً فيُخْجِلُك السَّماعُ
وإنْ عبَّرتُ عن شوقي بكُتْبٍ ... تلـهَّـبَ فـي أنـامِـلـيَ اليَـرَاعُ!

معجزات الجمال

أموسى! لقد أوردتَني شرَّ مورد ... وما أنا فرعون[١٣٠] كفور الصنائع
سحرتَ فؤادي حين أرسلتَ حيةَ الـ ... ـعَذار، وقد أغْرَقْتَنِي في مَدامِعِي[١٣١]
وما كنتُ أخشى أن تكون منيتي ... بـكـفَّـيْـك، والأيـامُ ذات بـدائـعِ
ووَاللهِ، ما يَلْتَذُّ سَمْعِي وناظِري ... بغيرك إنسانًا، وما ذاك نافِعي
جعلتَ عليَّ الصبرَ ضربةَ لازِبٍ ... وحرَّمتَ أن آتِي إليك بشافِعِ
ومـا أسَـفِـي أنِّـي أمـوت، وإنـمـا ... حذاريَ أن تُرْمَى بلُؤْمِ الطبائِعِ

---

[١٢٨] وَدٌّ — بفتح الواو وضمِّها: اسم صنمٍ كان يُعبَد، وكذلك «سُواع»، وقد جاءَ ذكرُهما في القرآن الكريم في سورة «نوح» عليه السلام.

[١٢٩] حالي أو حزني.

[١٣٠] أحد ملوك مصر، وقد بعث الله إليه موسى بالمعجزات المرهصات، فتولَّى، وقال: أنا ربكم الأعلى، فسلَّط الله عليه وعلى قومِه الطوفانَ والجرادَ والقُمَّلَ والضَّفادِعَ والدَّمَ، فكان يَسْتَجِير بموسى، فيدعو الله له فيرفع عنه العذاب، فلا يلبثُ أن يعود لكُفْره.

[١٣١] لَمَّا كان معشوقُه سَمِيَّ موسى، عليه السلام، أشار إلى المعجزات التي أتى بها هذا النبي الكريم، ومنها أنَّه أبْطَل السحرَ بسِحْرِه، وكان يَرْمِي عصاه فتَصِير حيةً تَسْعى، وانفلق له البحر فنَجَا وغرقَ أعداؤه.

(١١) حرف الفاء

قلب العاشق

أسعِدِ الوجدَ بدمعٍ وَكَفا[١٣٢] لا تقلْ للدمعِ: حسْبي وكفَى!
لستُ في دمعي غريقًا، إنما جسدي خفَّ ضَنًى حتى طَفَا
جاد غيثُ الدمع من بعدِك في مقلتي رسم الكَرَى حتى عَفَا[١٣٣]
ذِكْرُك الأعطَرُ يُبْكيني دمًا رُبَّ مسكٍ بشذاهُ رُعفا
لستُ مشغوفًا بموسى! إنه ليس لي قلبٌ فأشكو الشَّغَفا
كنتُ أشكو في الهوى، واليومَ قد تبتُ يعفُو اللهُ عمَّا سلَفا!

المهجور المودَّع

وَداعُ قلبي أَزِفا[١٣٤] وعاشقٌ على شَفَا[١٣٥]
جاء بقلب سالِمٍ فسَلْه كيف انصَرَفا
هل يجد الإنسانُ منْ نفسٍ تولَّتْ خَلَفا؟
يا نظرةً ما غرست حتى جنيتُ الشَّغَفا
السحرُ كم جالَ، وفي ألحاظِ موسى وَقَفا
أشد ما كلَّفني حبي لموسى الكَلفا
فلا شفاني الله إنْ دعوتُ منه بالشِّفا
أذعنتُ[١٣٦] إذْ جارتْ، ولا يحمل حكم الضُّعَفا
ذُلُّ الهوى، وعِزَّةُ الـ ـحسنِ حديثٌ عُرِفا

---

[١٣٢] سالَ وقَطَر.
[١٣٣] الكرى: النوم، وعفا: بادَ وذهب.
[١٣٤] حان.
[١٣٥] لم يَبْقَ منه إلَّا القليل.
[١٣٦] خضعتُ.

ما بثَّ إلَّا عاشقٌ للرِّئْم،[١٣٧] يَبْغِي النَّصَفا
ولستُ وهْو هاجري والرسم منِّي قد عَفا
أولَ صبٍّ مات، أو أولَ معشوقٍ جفا
يا مَن حلفتَ أنْ تَزُو رَنِي فبَرَّ الحَلِفا
تبخَلُ أنْ تُحيِّي بالـ ـلفظ محبًّا تَلِفا!
أخاف من جورك أن تُدْعَى! الْمَلِيح الْمُسْرِفا
حان الفراقُ فابكِيَنْ لكنْ بدمعٍ وَكَفا
لا أظلم البينَ، أقو لُ: شتَّتَ المُؤْتَلِفا
ما كنتُ موصولًا فأشـ ـكو عهدَ وصلٍ سَلَفا
كان هواك طمعًا، واليوم أمسى أسفا!
يا مرحبًا بالوَجْد فيـ ـك، وعلى الصبر العَفا!

علة السهر

أمَا لَك في أمْرِي إلى العدلِ مصرِفًا حكمتَ فما أعطيتَ عدلًا ولا صَرْفا[١٣٨]
يقول: أتشكو الميلَ مني، ونُفْرتي وبُعْدي؟ ألستُ البدرَ، والغُصْنَ، والخشفا
تحنُّ إلى الخيريِّ نفسِي، ويَغْتَدِي نسيبيَ في تصحيفِه يَمْلَأ الصحفا
وما أسهَرُ الظَّلْماء إلَّا لعلَّه يُنَشِّقني الخيريَّ[١٣٩] من نَشْره عَرفا
كأنَّ خيالي ليس يُظهِر غيرَه ولا منصفي يَدْرِي خلافَ اسمِه حَرْفا
يُمَثَّل لي في كلِّ شيء رأيتُه وإن سألوا جاوَبْتُهم باسمِه عُرفا
ولولا حيائي، واتِّقاءَ محلِّه لقبَّلْتُ نعلَيْه برغم العِدا ألْفا
تأولتُ فيه الذُّلَّ قلتُ: تَوَاضُعٌ! وحسَّنتُ تَرْكَ الصَّوْن سمَّيْتُه ظَرْفا
أَلَا ليتَ شِعْري مَن بآخِرِ سَبِّح[١٤٠] ومَن هو في التنزيلِ قبلَ الَّذِي وَفَّى[١٤١]

[١٣٧] الظبي الأبيض النقي البياض.
[١٣٨] التوبة أو الحيلة.
[١٣٩] اسم كان يُعرف به عشيقه.
[١٤٠] يعني سورة «الأعلى» وآخِرُها: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾.
[١٤١] التنزيل أي القرآن الكريم، وقيل الذي وفَّى يعني قول الله: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾.

دُرَر وصَدَف

سألْتُها عَلَّةً مِن صِرْف رِيقَتِها ... تَطْفِي بها حَرَّ مصدُوعِ الحَشَا دَنِفِ
فاستضْحَكَتْ، ثم قالتْ: ثغرُ ذي فَلَجٍ ... في ثغر ذي شَنَبٍ شيءٌ من الكَلَفِ[١٤٢]
وما درتْ أنَّه واللـه لا عجبٌ ... أن يُوجَد الدُّرُّ مقرونًا مع الصَّدَفِ

الأعداء في النحو

إذا كان نصرُ الله وَقْفًا عليكمو ... فإنَّ العدا التنوين يَحْذِفُه الوَقْفُ![١٤٣]

(١٢) حرف القاف

وقت الأصيل

انظرْ إلى لونِ الأصيلِ كأنَّه ... لا شكَّ لونُ مودِّع لفِراقِ
والشمس تَنظُر نحوَه مُصْفرَّة ... قد خَمَّشتْ[١٤٤] خدًّا من الإشفاقِ
لاقَتْ بحُمْرَتِها الخليجَ فألَّفا ... خجلَ الصِّبا، ومدامِعَ العُشَّاقِ
سقطتْ أوانَ غروبها محمرَّة ... كالكأسِ خرَّتْ من أناملِ سَاقِ

فلسفة الخال

شادنٌ لو جرى مع الـ ... ـشمس في حَلبة[١٤٥] سبقْ
عانقَ الغصنَ فاحْتَذَى ... لينَ عِطْفَيْه واستَرَقْ
نشق الزهر فاستفا ... د بأنفاسِه عبَقْ
وجرى باسمُ النسيـ ... ـم على خدِّه فرقْ

---

[١٤٢] الشنب دقَّة الأسنان وتراصُّها، والفَلَج كِبَرُها مع فوارقَ بينها، والكَلَف شيءٌ يُصِيب الوَجْهَ كالسمسم.
[١٤٣] التنوين نونٌ ساكنةٌ تلحق آخِرَ الاسم، وتُفارِقه حين الوَقْف.
[١٤٤] أحدثتْ به خُدُوشًا.
[١٤٥] الحلبة: خيل تُجمع من كل ناحية للسباق.

قلْ لِمُوسى: زِعْزَعْتَ قلـ ـبي الكليمَ فانفلَقْ
يا جحيمًا على القلو ب، ويا جنةَ الحَدَقْ
ما أرى الخالَ فوق خدَّ يْكَ ليلًا على فلَقْ
إنما كانَ كوكبًا قابَل الشمسَ فاحْتَرَقْ!

الكاس

سَلِ الكأسَ تزهو بين صبغ وإشراق أَذُوِّب فيها الوَردُ أم وَجْنةُ الساقِي
كئوس تُحَيِّيها النفوس كأنها حديث تلاقٍ في مسامعِ عُشَّاقِ
إذا قَتَلوها بالمزاج ليشربوا أعاشوا مناهم بين موت وإِخْلاقِ
تثور كأن الماءَ يَلْسَع صِرْفَها فصوت المغنِّي مثل هينمة الرَّاقِي
بموسى إذا ما شئتَ سُكْرِيَ غنِّ لي وأَدْهِقْ كئوسَ الخمر أيَّة إِدْهاقِ
وإن شئتَ إعجازًا ضربتَ بذِكْرِه فؤادي ففجَّرتَ العيونَ بآماقِي!
تَصاعُد أنفاسي تُشابِهُه الصَّبا وتقدَحُ في الأحشاءِ نِيرانَ أشواقي
إذا أنا حمَّلتُ البليلَ صبابتي غدتَ كسَمومِ الفَتْك لفحةَ إحراقِ!
وتعرف مني الريحُ زَفرةَ عاشِقٍ ويَفهَم منِّي البرقُ نظرةَ مُشتاقِ

شقاء الحب

سَلِ النومَ يا موسى، وهُنِّئتَ طِيبَه متى عهدُه من عين مَهْجُورِك الشَّقِي؟
وطال اتقائي أنْ أُصابَ بفِتنةٍ! لقد جلَبَتْ عيناك ما كنتُ أتَّقِي
نظرتَ بتلك العينِ نظرةَ قاتِلٍ فهل بعدَها — إنْ متُّ — نظرةَ مُشْفِقِ؟
أيا مُعْرِضًا أعلقْتَ من حَبْلِهِ يدًا بمثلِ شُعاعِ البارقِ المتألِّقِ!
أُبرِّرُ عند النفس باطِلَ عُذْرِه وأَقْنَعُ منه بالوِدادِ المُلَفَّقِ
أأعرَيْتَني من ثوبِ وصْلِك بعدما كسوتَ الضَّنى عِطفيَّ، والشَّيبَ مَفْرِقي؟
ويا سلوتي! لا أَعْرِفُ الغَدْرَ، إنني أخذتُ مع الأشجانِ أكرمَ مَوْثِق
ويا صاحِ! إن لم تَدْرِ أنَّ شقاوةً تلذُّ، وهونًا يُشْبِه العِزَّ فاعشَقِ

(١٣) حرف الكاف

ظباء المسك

صَعِقْتُ وقد نادَيْتُ موسى بخاطري ... وأصبحَ طُورُ الصَّبر من هجْرِه دكًّا[١٤٦]
وقالوا: اسْلُ عنه، أو تبدَّلْ به هوًى! ... أبعدَ الهُدَى أرْضَى الجحودَ، أو الشِّرْكا؟
أَلِفْتُ — عَدَاك الهجر — أنْ أعشَقَ الحُلَى ... فنظمتُ من شعري ومن أدمُعِي سِلْكا
جَرَى الخالُ في كافورِ خدِّك مِسْكة ... فنَمْ بأشْواقي نُسيِّمُها الأَذْكَى
فجُدْ لي بمِسْكِك الخال يا ظبيُ إنني ... عهدتُ ظباءَ المسك لا تَخْزن المسْكا

(١٤) حرف اللام

أمل لصَبٍّ

حديثُ عنقاءٍ صَبٌّ أدْرَكَ الأملا ... حَظِّي مِن الحبِّ أني بعضُ مَن قُتِلا!
أما لقد نصحَ العُذَّال، لو قبلوا! ... السيفُ مِن لَحْظِ موسى يَسبِقُ العَذلا
طلبتُ حيلةَ بُرْءٍ من محبته ... فنصَّ لي لحظُهُ الأمراضَ والعِلَلا
يا مَن غدا كلُّ لفْظِي فيه — من طمع — ... «عسى وليتَ» وشِعْري كلُّه غزلا!
منعتَنِي يقظةً ردَّ السلام — فلم ... أجرأ على الطَّيْفِ في تكْلِيفِه القُبَلا
كسا خضابُ اصفرارٍ للضَّنَى جسدي ... لو كان يُنضَح مِن ماء اللَّمَى لصَلا
شوقي إليك، ولا حُمِّلتَ شوقيَ، قد ... أفْنَى القوافِي، وأفْنى الدَّمْعَ، والحِيَلا

الساري الجميل

عندي له غَرَّاءُ أهْداها السُّرى ... بأغَرَّ أهْدى قربُه الآمالا
سفرَتْ له بِكرُ الخُطوبِ بوجْهِها ... فاستحْسَنَ الظلماءَ فيه خالا
جرَّدتَ عزْمَك، لم تَهَبْ جُنْحَ الدُّجى ... جيشًا، ولا زهرَ النجوم نِصالا
فلَوَ انَّ بدرَ التَّمِّ كمَّله الدُّجى ... سَيْرًا، لقد قُلْنا سَرَيْتَ خيالا!

---

[١٤٦] يريد هنا أيضًا الإشارة إلى معجزات موسى، عليه السلام: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾، الطُّور هو الجبل.

تسامح العشاق

لا تطلبوا ثأْري، فلا حقَّ لي ... على لِحاظِ الرِّئْمِ من قاتِلي
سمحتُ في سفْكِ دمي راضيًا ... برشفةٍ من رِيقِك السَّلْسَلِ!
وِصالُ موسى لحظةٌ، صفوُها ... يُشابُ بالواشين والعُذَّلِ
قصيرةٌ تَضْرِم نارَ الهوى ... كأنَّها قبْسةُ مُسْتَعْجِلِ
لحظٌ يَرَى القَتْلَ مني نفسه ... والعارَ أن يترك قلبَ الخَلِي
غَضُّ الصِّبا يُسْفِر عن منظر ... أحسنَ مِن عصْرِ الصِّبا المُقْبِلِ
صوِّر من نُورٍ، ومن فِتنةٍ، ... والناس من ماء، ومن صلصل[١٤٧]
شاكي سلاح القَدِّ، واللَّحْظ في ... حرب شجٍ عن صبرِهِ أعزَلِ
منسلبِ الحيلة والصبر لا ... يأوى إلى عقلٍ، ولا مَعْقِلِ
ذو ضِنَّةٍ[١٤٨] يمنع بذلَ المنى ... قولًا ومهما قال لم يفعل
ينفي ليَ الحالَ ولكنَّه ... يُدْخِل «لا» في كلِّ مستقبَلِ
أحلتُ أشواقي على ذكره ... أسلِّط النارَ على المِنْدَلِ
يا شَرَكَ الألباب! كن مجملًا ... واستَحْيِ من منظَرِك الأجملِ
أخشى عليك العار من قولهم ... معتدلُ القامة لم يَعْدِلِ
أبيت فردًا منك لكنني ... من المنى والذِّكْر في مَحْفِلِ
وقد رثَى مِن سهري في الدجى ... شقيقُك البدرُ ولم ترثَ لِي

صولة الجمال

عليلٌ شاقَه نَفَسٌ عليلُ ... فجادَ بدمعِه أملٌ بخيلُ
أَعَدَّ الصبرَ للأشواق جيشًا ... فأدْبَرَ حين أقْبَلَتِ القبولُ
وأبكاني فبلَّ الريحَ دمعي ... ضحًى، فلِذاك قِيل لها: البَلِيلُ
وكم بالخيف من خدٍّ صَقِيلٍ ... يُحرِّمُ لَثْمَه ماضٍ صيقلُ

---

[١٤٧] طين حر مخلوط بالماء.

[١٤٨] بخيل.

ترى العُشَّاق بين قباب قوم ... يجيب أَبِينَهم فيها الصَّهيلُ
تهزُّ بها المعاطف والعوالي ... وتبتسم الثنايا والنُّصولُ
فكم أملٍ طويل من حماهم ... يُزعْزَع دونَه لدْنٌ طويلُ
ومعشوق الشباب له جفونٌ ... تُعلِّم كيف تُخْتَلَس العقولُ
يهاب الليثُ غِرَّتَه، ويهفو ... بذات الصَّوْن منظرُه الجميلُ
بديع الحسن تَعْشَقه حلاه ... أحتى الحسن يَعشَقُ أو يَمِيلُ
أظن وِشاحَه يَهْذِي خيالًا ... وما تَدْري الخلاخلُ ما يقولُ
عُهودُ الحُسْن ليس تَدُومُ حينًا ... فأوقِنُ أنَّها ظلٌّ يَزُولُ
وشخصي في الهوى طَلَلٌ، فأنَّى ... يجاوِبُ عاذِلًا طَلَلٌ مُحِيلُ
فليتَ السقمَ دام فدُمتُ، لكنْ ... متاعُ السقمِ من جَسَدِي قليلُ
كأنَّ القلبَ والسلوانَ ذهنٌ ... يحومُ عليه معنًى مُستَحِيلُ

* * *

أموسى، عاشقٌ يَظمَى، ويَضْحَى[١٤٩] ... وأنت الماءُ والظِّلُّ الظَّليلُ!
أجبْ داعِيه، أو ناعيه، إمَّا ... يموت غليلُ نفسٍ، أو عليلُ
أنا العبدُ الذَّليلُ، ولا فَخارٌ، ... أتمنَعُنِي أقول: أنا الذَّليلُ؟!
إذا ناديتُ أنصاري لِما بي ... تبرَّأَ منِّيَ الصبرُ الجميلُ!

بين الخوف والخَجَل

يا مُرْهِبي دونَ سلطانٍ يَصُولُ به ... ومُخْجِلي دونَ ذنبٍ لا، ولا زَلَلِ!
إلَّا هوًى ردَّ حقِّي عندَ باطِلِه ... حتى يرى الظلمُ لي منه يدًا قِبَلِي
إنْ جُدتَ لي فبحقٍّ، أو بخِلْتَ فما ... أكونُ أولَ صبٍّ مات عن أَمَلِ
متى تَرَى منكَ نفْسِي ما تُؤَمِّلُه ... وحاجتي فيك بين اليأس والأمل؟

[١٤٩] يظمى أي يعطش، ويضحى أي يبرز للشمس فتنال منه.

بين الإدلال والسؤال

فديتك! جَنِّبْ مطمَعَ الحَيْن[١٥٠] من فتًى ... كليلِ سلاحِ الصبرِ، بادي المَقاتِلِ
جلستُ مِن الإدلالِ جِلْسةَ عاتِبٍ ... فأعقَبَني للحالِ موقِفَ سائِلِ
وما كانَ إلَّا هفوةً زَيَّن الهوى ... بها عندَيَ الأمرَ الذي هو قاتِلِي
لِأعلم كيف استَهْلَك الهجرُ معشرًا ... وكيف قضَى يأسِي بهذي البلابِلِ![١٥١]

الجمال الذابل

كان مُحيَّاك له بهجةٌ ... حتى إذا جاءَك ماحِي الجمال
أصبحتَ كالشمعة لَمَّا جَنَى ... منها الضياءُ اسودَّ فيها الذُّبال[١٥٢]

الممدوح المفرد

لك الثناءُ فإنْ يُذكَر سواك به ... يومًا، فكالرابعِ المعهودِ في البَدَلِ[١٥٣]

روضة الجمال

أخذوا موثقَ العذار على الخد ... اتِّهامًا منهم لعهدِ الجَمالِ
إنَّما خدُّه الحُسامُ، فظُلْمٌ ... حمْلُه للنِّجاد[١٥٤] في كلِّ حالِ
طالَمَا زانتِ اللَّيالِي بُدُورٌ ... منه ما زانتِ البدور الليالي
كان في شمس خدِّه الوردُ ضاحٍ ... فهو الآن قد أَوَى لظِلالِ
نطقَ الشعر حين لاحتْ، ولِمْ لا ... تسجعُ الطيرُ في ربيع الجمالِ؟!
راق خَلْقًا وفاقَ خلقًا فقلنا ... أنْجم الأفق أم نجومُ المعالِي؟

---

[١٥٠] المنية.

[١٥١] جمع بَلْبال — بفتح الباء — وهو الهم ووسواس الصدر.

[١٥٢] الفتيلة.

[١٥٣] يعني: بدل الغَلَط.

[١٥٤] حمائل السيف.

(١٥) حرف الميم

رسالة الرياح

أثارَ الليثُ ألْحاظًا نيامًا ... ترى في قتلتي الثأرَ المُقِيما
أرى الخِيرِيَّ يَمْنَعني جَناهُ ... فهل أَلْقاهُ رِيحًا أو شَمِيما؟!
أَشِيمُ[١٥٥] البرقَ يُومِض مِن نداه ... وأشمم من نواحِيه النَّسيما
ولستُ بمشتكٍ منه مِطالًا ... فمَن لي أن أكونَ له غَرِيما؟
وأحسبُ كلَّ ذي نظرٍ رقيبًا، ... وأزعمُ كلَّ ذي نطقٍ خَصِيما
أبثُّ مع البليلِ إليه شَوْقي ... فتَبْلُغُه وقد عادتْ سَمُوما
أَخاف الرِّيحَ إن ناجتْه عني ... تُعِيدُ أقاحِ مبْسِمِه هَشِيما
ألا يا جنةً كانتْ عذابي، ... وسَلْسَالًا سُقِيتُ به الحَمِيما
لنفسٍ قد حللْتُ عُرى عزاها ... وعينٍ قد عبدتُ بها النجوما
لئن واصلْتَ يا موسى محبًّا ... لقد أَحييتَ يا عيسى رَمِيما[١٥٦]

الطبيعة والجمال والغرام

حُثَّ الكئوسَ ولا تُطِعْ مَن لاما ... فالمُزْنُ قد سَقَتِ الرِّياضَ رِهاما
رقَّ الغمامُ لِما بها إِذْ أَمْحَلَتْ، ... فغدا يُرِيق لها الدُّموعَ سِجاما
والبرقُ سيفٌ والسحابُ كتائبٌ ... تُبْدي لوَقْع عذارِه إحْجاما
والدَّوْحُ ميَّادُ الغُصون كأنما ... شربَ النباتُ من الغمام مُداما
والزهرُ يَرْنُو عن نَواظِر سدَّدَتْ ... لحظاتُهن إلى الشُّجونِ سِهاما
تهن الكواكب غير أن لم تستطع ... شمس النهار لضوئها إبهاما!
تثني على كرم الولي بنفحة ... عن مسك ذاويٍّ تفضُّ خِتاما
يهدي الصَّبا للصَّبِّ منها مثل ما ... يهدي المحبُّ إلى الحبيب سَلاما
فكأنَّها عَرَقُ الحبيب تضوُّعًا، ... وكأنها نَفَس المحبِّ سَقاما!

---

[١٥٥] أتطلَّع إليه ببصري أنتظره.

[١٥٦] إشارة إلى ما جاء به كلمة الله عيسى، عليه السلام، من معجزة إحياء الميت.

زفرة

بُنِيتُ بناءَ الحَرْف خامر طبْعه فصرتُ لتأثيرِ العواملِ جازِمَا

نفس عصام

سأُلْزِم نفسي عنك ذنبَ غرامي فمَن بدَمِي إنْ حُمَّ فيك حِمامي؟!
ونفسي دعتْني للشقاءِ كما دَعَتْ عصامًا إلى العَلْياءِ نفسُ عِصامِ[١٥٧]

ثمن قلب

ويأتي مِن الهِجْران زلةُ مُدْنفٍ فأعمل في السلوان فكرة عازم
ذنوبُ مَلِيح الوَجْه غيرُ قبيحةٍ ومِن عادة العُشَّاق شحْذُ العزائمِ
وسرَّحتُ في مَرْآك مُقْلةَ ناظري لقد طالَ قَرْعي بعدَها سِنَّ نادِمِ
سَلُوا عن محبٍّ باع قلبًا بنظرة أيمضي عليه البيعُ ضربةَ لازمِ؟
وكنتُ سديدَ الرأيِ صَعْبًا على الهوى ففيك هفا حِلْمي ولانتْ شَكائِمِي

(١٦) حرف النون

نظيران في التحريم

ضمانٌ على عينيك أنِّيَ عَانٍ صرفتُ إلى أيدي العناءِ عنانِي
وقد كنتُ أرجو الوَصْلَ نَيْلَ غنيمةٍ فحسبيَ منه اليوم نَيْلُ أمانِ

---

[١٥٧] نفس عصام تُضرَب مَثَلًا لِمَن سوَّده الاكتساب. وعصامٌ هذا هو الباهِلي الذي يقول فيه النابغة:

نفسُ عصامٍ سوَّدتْ عِصامًا وعلَّمَتْه الكَرَّ والإقْدامَا
وجَعَلَتْه مَلِكًا هُماما

ولقد كان حاجِبًا للنُّعْمان بن الْمُنذِر.

أطعتُ هوى طَرْفِي لحَتْفِي لوَ انَّنِي غضَضْتُ جُفوني ما عضَضْتُ بَنانِي
ومَن لي بجسمٍ أشتكي منه بالضَّنى؟ وقلبٍ فأشكو منه بالخَفَقانِ؟
وما عشتُ حتى الآنَ إلَّا لأنني خَفِيتُ فلم يَدْرِ الحِمامُ مكاني!
ولو أنَّ عُمْري عُمْرَ نوحٍ وبعْتُه بساعةِ وصلٍ منك قلتُ: كفاني!
وما ماءُ ذاك الثغرِ عندِيَ غاليًا بماءِ شبابي واقْتِبالِ زماني
إذا اليأسُ ناجَى النفسَ منكَ بلن ولا أجابتْ ظنوني: ربَّما وعسانِي

* * *

خليليَّ عندي في السُّلُوِّ بلادةٌ فإنْ شِئْتُما علْمَ الهوى فسَلَانِي
خُذا عددًا مَن مات مِن أوَّل الهوى فإنْ كان فَرْدًا فاحْسِبانِيَ ثاني
فلو قال شخصٌ: أينَ أعْشَقُ عاشِقٍ؟ لسلَّمتُه دونَ الأنام عناني

* * *

مَرَاضِعُ موسى[١٥٨] أوْ وِصالُ سَمِيِّهِ[١٥٩] نَظِيرانِ في التحريم يَشْتَبِهانِ
أقول وقد طال السُّهادُ بذكره وقد حامَ نَسْرُ الشُّهْب للطيران
وقد خفقَ البَرْقُ الطُّروبُ كأنه حسامُ شجاعٍ، أو فؤادُ جبانِ
يشقُّ حِدادَ الليل منه براحة مخضبةٍ أو دِرْعَه بسِنانِ
أشار تجاهي بالسلام فلو دعا سنا البرقِ قَبْلِي عاشقًا لدعاني
تراءى لعيني خُلَّبًا وانتجَعْتُه فأمْطَرَني من أدْمُعي وسقاني
فبتُّ لأشواقي قتيلًا، وإنما نَجِيعيَ دمعي، وهْو أحمرُ قانِ
كأنَّ النجومَ الشُّهبَ حولي مَآتِمٌ غُرابُ الدُّجى مِن بينِهن نعاني
خرَرْتُ لذكراه على الترْب ساجدًا فإنْ لاح مِن قُرْبٍ فكيف يَرَانِي؟!

[١٥٨] يُشير إلى قول الله، تعالى، حكايةً عن موسى، عليه السلام: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾.
[١٥٩] المسمَّى باسمه، وهو حبيبه موسى.

ساعة وصال

أشمسٌ في غِلالةِ[١٦٠] أرجوانِ ... وبدرٌ طالِعٌ أم غُصْنُ بانِ؟
وثغرٌ ما أرى أمْ نَظْمُ دُرٍّ ... ولحظٌ ما حَوَى أمْ صارِمانِ؟[١٦١]
وخدٌّ فيه تفاحٌ ووَرْدٌ ... عليه من العَقاربِ حارسانِ
ويَعذِلُني العواذِلُ فيه جهلًا ... عزيز ما يقول العاذِلانِ
فقالوا: عبدُ موسى قلتُ: حقًّا ... فقالوا: كيف ذا؟ قلتُ: اشتَرانِي
فقالوا: هل عليكَ بذا ظَهِيرٌ؟[١٦٢] ... فقلت: نعم، عليَّ وشاهدانِ
فقالوا: هل رضيتَ تكونُ عبدًا ... لقد عرَّضتَ نفسَك للهَوانِ
فقلت: نعم، أنا عبد ذليل ... لِمَن أهوى فخَلُّوني وشاني
بنفسي مَن يُفَدِّيني بنفسٍ ... جُعْلتُ فِداه لَمَّا أنْ فَدَاني
سألتُك حاجةً إنْ تقْضِها لي ... فقال: نعم قضيتُ وحاجتان ...
فقلتُ: أشمُّ من خدَّيْك وردًا ... فقال: وما تضمُّ الوَجْنَتانِ
فقلتُ: أخافُ صدغَك أن يَرَاني ... وما أنا مِن لِحاظِك في أمانِ
فقال: أعاشقٌ ويَخاف رميًا؟ ... جبنتَ وما عهدتُك بالجبانِ
كذاك الصَّبُّ يَعذِر كلَّ صَبٍّ ... تَحَكَّمْ ما تشاءُ وفي ضماني
فكان تَحَكُّمًا لا وِزْرَ فيه ... أيكتُبُه عليَّ الكاتبان؟
أدِيرا الرَّاحَ، وَيْحَكما، سُلافًا ... فإنْ دارتْ عليَّ فعاطِياني

الساقي الجميل

رُعْ[١٦٣] بجيشِ اللَّذَّاتِ سِرْبَ[١٦٤] الشُّجونِ ... وخذِ الكأسَ رايةً باليَمِينِ
لا تُجيبنَّ بالرِّضا أهلَ لومٍ ... صاحِ واقْلِبْ لهم مِجَنَّ الْمُجُونِ

---

[١٦٠] الغلالة: شعار يُلبَس تحت الثوب وتحت الدِّرع أيضًا، والأرجوان حجر له نُورٌ أحمر حَسَن جدًّا.

[١٦١] سيفان.

[١٦٢] الظهير: هو المُعِين، لعلَّه، وقصد به هنا «الضامن».

[١٦٣] أَخِفْ.

[١٦٤] القطيع أو الجماعة.

طلعتْ أنجمُ الكئوسِ سُعُودًا ... منذُ قابَلْنَ أنجمَ اليَاسَمِينِ
وظِلالُ القُضْبِ اللِّطافِ على النَّرْ ... جِسِ تَحْكِي مَرَاوِدًا في عُيونِ
آنِساني، وكَفْكِفا دامعَ عيني ... بسُلافٍ كدمعةِ المَحْزُونِ
ألَّفا جوهرَ الأزاهر، والقطـ ... ـر إلى جوهرِ الحُبابِ المَصُونِ
وانْظِماها في ليلةِ الأُنْسِ عِقْدًا ... مُلك كسرى لدَيْه غيرُ يَمِينِ
كيف أمَّنتما على الشَّرْبِ شَخْصًا ... لحظُه في القلوبِ غَيرُ أَمِينِ؟
قام يسقي فصَبَّ في الكأس نزرًا[١٦٥] ... ثِقةً منه بالذي في الجُفُونِ
وأتى نطقُه بلحنٍ فأَغْنَى ... عن سماعِ الغناءِ والتَّلْحِينِ
إنَّ نارَ الحياءِ في خدِّ موسى ... جنةٌ تُثْمِرُ المُنَى كلَّ حِينِ
قسمًا لا أحبُّه، وأنا أُقْسِـ ... ـمُ أنِّي حنثْتُ في ذِي اليَمِينِ
لو رقاني بريقِه لشَفى مَكْـ ... ـنونَ قلبي بلؤلؤٍ مَكْنُونِ
بدرُ تمٍّ له تمائمُ كانت ... وهي بدءُ الجنونِ أصلَ الجُنونِ
أنا في ظلمةِ العجاج[١٦٦] شجاع ... وجبانٌ في نُورِ ذاك الجَبِينِ
كتبَ الشَّعرُ فيه سِينًا فعوَّذْ ... تُ بيس حُسْنَ هذِي السِّينِ
أتَّقِي أعْيُنَ الظِّباءِ، ولكنَّ ... قلوبَ الآسادِ قد تتَّقِينِي
فكأني النَّوارُ يَجْنِيهِ ظَبْيٌ ... حيث لا يَجْتَنِيهِ ليثُ العَرِينِ
كم نهاني عن حبِّ موسى أناس ... عَذَلُوني، فإنْ بدا غَدَرُوني
أكْبَروه فلم تُقَطِّعْ أكفٌّ ... بِمُدًى، بل قلوبُهُم بجُفُونِ
ليتَنِي نلتُ منه وَصْلًا وأجْلَتْ ... ليلةُ الوصلِ عن صباحِ الْمَنُونِ
وقرأنا بابَ المُضافِ عِناقًا ... وحذَفْنا الرَّقيبَ كالتَّنْوِينِ

زكاة الجمال

بأبي جفونُ مُعذِّبي وجُفوني ... فهي التي جلَبَتْ إليَّ مَنُوني
ما كنتُ أحسب أنَّ جفْنِيَ قبْلَها ... يقتادني مِن نظرةٍ لفُتونِ

---

[١٦٥] يسيرًا.

[١٦٦] الغبار والدخان.

يا قاتلَ اللهُ العيونَ لأنَّها حكمتْ علينا بالهوى والهُونِ
ولقد كتمتُ الحبَّ بين جوانحي حتى تكلَّم في دموع شئوني
هيهاتَ لا تَخْفَى علاماتُ الهوى كاد المريبُ بأن يقول: خُذُوني
وبمهجتي أَلْحاظُ ظبيةِ وَجْرةٍ حُرَّاس مَسْكَنِها أُسودُ عَرينِ
سدوا عليَّ الطرق خوف طريقهم فالطَّيْفُ لا يَسْري على تأمين
أوَمَا كفاهُم مَنْعُهم حتى رَمَوْا منها مبرَّأةً برجْمِ ظُنونِ؟
وتوهَّموا أنْ قد تعاطَتْ قهوةً[١٦٧] لَمَّا رأَوْها تَنْثَنِي مِن لِينِ
واستفْهَموها: مَن سقَاكِ؟ وما دَرَوْا ما استُودِعَتْ من مبسمٍ وجُفونِ!
ومن العجائب أنهم قد عرَّضوا بيَ للفُتون، وبعدَه عَذَلُوني
خدعوا فؤادي بالوصال، وعندما شبُّوا الهوى في أضْلُعي هَجَروني
لو لم يُريدوا قتْلتِي لم يُطْمِعوا في القُرْبِ قلبَ مُتَيَّمٍ مَفْتُونِ
لم يَرْحَموني حين حانَ فِراقُهم ما ضرَّهم لو أنَّهم رَحِموني؟
ومن العجائب أنْ تعجَّبَ عاذِلي من أن يطولَ تشوُّقي وحَنِيني!
يا عاذلي! ذَرْني[١٦٨] وقلْبيَ والهوى أأعرْتَنِي قلبًا لحملِ شُجوني؟!

* * *

يا ظبيةً تلوى[١٦٩] دُيوني في الهوى كيف السبيلُ إلى اقتضاءِ دُيوني
بيني وبينكِ حين تأْخُذُ ثأْرَها مَرْضَى قلوبٍ من مِراضِ جُفونِ
ما كان ضرَّكِ يا شقيقةَ مُهْجَتي أنْ لو بعَثْتِ تحيةَ تُحْيِيني!
زَكِّي جمالًا أنتِ فيه غَنيةٌ وتصدَّقي منه على الْمِسْكِينِ
مُنِّي عليَّ ولو بطَيْفٍ طارِقٍ ما قَلَّ يكثُرُ من نَوَالِ ضَنينِ
ما كنتُ أحسبُ قبلَ حبِّك أنْ أرى في غير دارِ الخلد حورَ العِينِ
قسمًا بحسنِكِ ما بصرتُ بمثله في العالمين شهادةً بيَمينِ

---

[١٦٧] خمرًا.

[١٦٨] دعني أو اتركني.

[١٦٩] من أَلْوَى بحقِّه أي ذهب به.

الْتِماس

يمينًا بدِيني، إنَّه الحبُّ فيك، أوْ ... بقِبْلةِ نُسْكي، إنَّه وَجهُك الحَسَنْ!
لحبِّكَ مِن قلبي وإنْ سلَّطَ الضَّنى ... على جَسَدِي أشْفَى مِن الرُّوح للبَدَنْ
ويا وطنَ السلوان، والعيش غربة ... ألَا عوذة بالله مِن ذلك الوَطَنْ؟
لقد طال حربُ النوم فيك لناظري ... ألَا هدنة منه، ودَعْها على دَخَنْ؟[١٧٠]
يظنُّ هو موسى بأني قَتِيلُه! ... سأجعل نفسي فيه — واللهِ — حيث ظنْ

فلسفة الصبر

لا تَرْكَنَنَّ مع الذُّنوبِ لعِزَّةٍ ... إنَّ المُرِيبَ[١٧١] بذُعْرِه متكفِّنُ
الصبرُ عمَّا أشْتَهِيه أخفُّ مِن ... صبري لِمَا لا أَشْتَهِيه وأهْوَنُ[١٧٢]

العار المزدوج

لي صاحبٌ تَرَكَ النِّساءَ تَظَرُّفًا ... منه، ومالَ إلى هَوَى الغِلْمانِ
فعذَلْتُه يومًا وقدْ أَبْصَرْتُهُ ... يُعنَى بقَوْدِ فلانةٍ لفُلانِ
فأجابَني: إنَّ اللِّواطَ إذا عَتَا ... قد يَنْثَنِي قَوْدًا على النِّسْوانِ

وصف لازورد

ولازَوَرْدٍ باهرٍ نُورُهُ ... مُستَظْرَفِ الأوصافِ مُستَحْسَنِ
كأنَّه من حُسْنِ مَرْآهُ قد ... ذابتْ عليه زُرقةُ الأعْيُنِ

---

[١٧٠] يُقال: دَخَنَتِ النار إذا فسَدَتْ بإلْقاء الحطب عليها حتى يَهِيج دخانُها وهو هنا يقول له: أَفْسِد نارَ الحربِ وصِلْنِي.

[١٧١] الرجل المُتَّهَم أو المشكوك فيه.

[١٧٢] ما يشتَهِي هو الخير، وما لا يشتهي هو الشر، وهو يريد أن يقول: إنَّ صبْرِي على الخيرِ يتأخَّر عنِّي أهْوَنُ مِن صبري على مصيبةٍ تَنزِل بي.

(١٧) حرف الهاء

دمعة عاشق

صَبٌّ تحكَّم كيفَ شاءَ حَبِيبُهُ ... فغدا وأمثالُ الذَّليلِ نَصِيبُهُ
بادي الهوى مَهْجورَه، وحريصَه ... ممنوعَهُ، وبريئَهُ مَعْتُوبَهُ
كَذِبُ المُنَى وقفٌ على صِدْقِ الهوى ... وبحيث يَصْفُو العيشَ ثَمَّ خُطُوبُهُ[١٧٣]
يا نجم حُسْن في جُفوني نَوْءُه ... وبأضلُعِي خَفَقانُهُ ولَهِيبُهُ
أوَما تَرِقُّ على رهينِ بلابِلٍ[١٧٤] ... رقَّتْ عليك دُموعُه، ونَسِيبُهُ؟!
ولكم يَمِيل إلى كلامِك سمعُهُ ... ولوَ انَّه عتب تشبُّ حُرُوبُهُ
ويودُّ لو أنْ ذاب مِن فَرْطِ الضَّنَى ... ليَعُودَه في العائدين مُذِيبُهُ
مهما رَنَا ليَرَاكَ حجَّبَ عينَه ... دمعٌ تحيَّر وسْطَها مَسْكُوبُهُ
وإذا تناوَمَ للخيال يَصِيدُه ... ساق السُّهادَ أَنِينُهُ ونَحِيبُهُ
فالدمعُ فيك مع النهار خَصِيمُهُ ... والسُّهْدُ فيك مع الكلامِ رَقِيبُهُ
فمتى يَفُوزُ ومن عداه بعضه ... ومتى يُفيق ومن ضناه طَبِيبُهُ؟!
إنْ طاف شيطان السُّلُوِّ بخاطري ... فشهابُ شوقي في المكانِ يُصِيبُهُ
مَن لي به حلوَ الذي عُطْلٌ له[١٧٥] ... ومحاسنُ القمرِ الْمُنِير عُيوبُهُ؟!
منهوبُ ما تحتَ النِّقابِ[١٧٦] عفيفُهُ ... نهَّابُ ما بين الجُفونِ[١٧٧] مُريبُهُ
قاسى الذي بين الجوانح[١٧٨] فظُّهُ ... لدنُ الذي بين البُرودِ[١٧٩] رَطِيبُهُ
وجهٌ أرقُّ من النسيم يُعِيرني ... مر النَّسيم بوجهه وهبوبُهُ
خدٌّ يفضُّ عُرَى التُّقَى تَفْضيضُه ... عنِّي، ويذهب عِفَّتي تَذْهِيبُهُ

---

[١٧٣] ثم: بفتح الثاء؛ أي هناك، والخُطُوب: المصائب.
[١٧٤] جمع بَلْبال، بفتح الباء، وهو الهمُّ ووسواس الصدْر.
[١٧٥] العُطْل: عدم التحلِّي بالمجوهرات وما إليها.
[١٧٦] الوجه.
[١٧٧] العين.
[١٧٨] القلب.
[١٧٩] الجسم.

يُذْكي الحياءُ بوجنتَيْه جمرةً فيكادُ نَدُّ الخدِّ يَعْبِقُ طِيبُهُ
غُفْرتْ جرائمُ لَحْظِه لسقامِهِ فسطا، ولم تُكتَبْ عليه ذُنوبُهُ
ما ضرَّ موسى لو يشقُّ مدامعي بحرًا فيَغرَق عاذِلي ورَقِيبُهُ

يأس مهجور

لامُوا، فلمَّا لاحَ مَوْضِعُ صَبْوَتِي قالوا لقدْ جئتَ الهوَى مِن بابِهِ
شَرِقَتْ[١٨٠] بدَمْعي وَجْنَتِي شَوْقًا إلى ذي وَجْنةٍ شَرِقَتْ بماءِ شبابِهِ
حلوُ الكلام كأنما ألفاظُه يَشْرَبْنَ عند النُّطْقِ شهْدَ رُضابِهِ
بالله يا موسى، وقد لذَّ الرَّدَى، أَجْهِزْ[١٨١] ولا تبقِ الجريحَ لِمَا بِهِ
هاروتُ أَوْدَع في لِحاظِكَ سِحْرَه فأصابَ قلبي منك مثلُ عذَابِهِ
صحَّحْتَ يأسي مِن وصالِك مثل ما قد صحَّ يأسُ الحرفِ مِن إعرابِهِ[١٨٢]

العقوق المشكور

سأشكرُ منك العقوقَ الذي نَهَى شغَفِي بك شكر النَّصيحةْ
وبشَّرَ صدْرِي بقلْبِي المضارع وهنَّأَ بالنَّومِ عَيْنًا قَرِيحةْ
ولو كان بِرُّكَ بي مُسْعِدًا لحسَّنَ عندِيَ فيكَ الفَضيحةْ
فإنْ لم تَجِدْ عن سُلُوِّي صبرتُ بِرَغْمي، فرُبَّتْ وفاةٍ مُرِيحةْ

صفات معشوق

يمثل لي نهج الصِّراط بوَعْدِه رشا جنةِ الفردوس في طيِّ بُرْدِهِ
تغصُّ برُؤْياه النجومُ وربما تموتُ غصونُ الرَّوْض غمًّا بقَدِّهِ
علقتُ ببَدْرِ السَّعْدِ لو نلتُ ذا الذي تؤمِّلُ منه مهجتي بعضَ سَعْدِهِ

---

[١٨٠] غصَّتْ.

[١٨١] أجهَزَ عليه: أسرَعَ في قتْلِه وتمَّمَه.

[١٨٢] في علم النحو أنَّ الحرفَ مبنيٌّ، لن يُعرَب.

حكى لحظُه في السقم جسْمِيَ، واغتدى ... لنا ثالثًا في ذاك ميثاقُ عهْدِهِ
وأركبَنِي طرفَ الهوى غُنجُ طَرْفِه ... وأشرَقَنِي بالعذْبِ إشراقُ خدِّهِ
وأغرى فؤادي بالأَسَى رَوْضُ آسِه ... وأَوْردني ماءَ الرَّدَى غضُّ وَرْدِه
يُعارضُ قلبي بالخُفوقِ وِشاحُه ... ويَحْكِي امتدادًا زفرتي ليلُ صدِّهِ
وما المسك خالٍ من هوى خالِهِ وإنْ ... غدا النَّدُّ منه مُسْتَهامًا بنَدِّهِ
وما وَجْدُ أعرابيةٍ بانَ أهلُها ... فحنَّتْ إلى بانِ الحجازِ ورنْدِهِ[١٨٣]
إذا آنَسَتْ ركبًا تكفَّل شوقُها ... بنارِ قِراهُ،[١٨٤] والدموع بورْدِهِ
وإنْ أُوقِد المصباحُ ظنَّتْه بارقًا ... يُضِيءُ، فهشَّتْ للسَّلامِ ورَدِّهِ
بأعظمَ مِن وَجْدِي بموسى، وإنما ... يرى أنني أذنبتُ ذنبًا بوُدِّهِ
أنا السائلُ المسكينُ قد جاء يبتغي ... جوابًا، ولو كان الجوابُ برَدِّهِ!
محبٌّ يرى في الموت أمنيةً عسى ... تخفُّ على موسى زيارةُ لَحْدِهِ!

الربيع

جاء الربيعُ ببِيضِهِ، وبسُودِهِ ... صنفانِ مِن سِيدانِهِ وعَبِيدِهِ
جيشٌ ذوابِلُه الغُصونُ، وفوقَها ... أوراقُها منشورةٌ كبُنُودِهِ[١٨٥]

نبي الجمال

نظرٌ جَرَى قلبي على آثارِهِ ... خلع العذارَ فلا لعًا[١٨٦] لِعثارِهِ
يا وجْدُ، شأنَك والفؤادَ وخلِّني ... ما المرءُ مأخوذًا بزَلَّةِ جَارِهِ
دنفٌ يَغِيب عن الطبيب مكانه ... لولا ذُبالٌ شبَّ من أفكارِهِ
للدمعِ خطٌّ فوقَ صُفْرةِ خدِّهِ ... فتَراهُ مثلَ النقْشِ في دِينارِهِ

---

[١٨٣] الرند: شجر طيب الرائحة من شجر البادية، أو هو العود، وهو هنا أوفق لنسبةِ جيِّد العود إلى الحجاز.

[١٨٤] نار القِرى: نارٌ كان يُشبُّها كِرامُ العرب ليَهْتَدِيَ بها الضيوف إلى مكان الأمن والإكرام.

[١٨٥] جمع بند، وهو العلم الكبير.

[١٨٦] لعًا: كلمة تُقال للعاثر يُراد منها الدُّعاء له بأن يَنتَعِش.

هيهاتَ! عاقَ عن السُّلُوِّ فؤادَه سببٌ يَعُوقُ الطيرَ عن أوْكارِهِ
قالوا سيسليك العذارُ سفاهةً وحصادُ عمري في نبات عذاره![١٨٧]
إنْ لم أمُتْ قبل العذارِ فعندما يبدو يسلم عاشقٌ بغرارِهِ
مثل الفريق نَجَا ووَافَى ساحلًا فإذا الأُسودُ روابضٌ بجوارِهِ
إنَّ العذارَ صحيفةٌ تَتْلُو لنا ما كان صانَ الحُسْن مِن أسرارِهِ
مَن لي به؟ يَرْضَى ويَغضَب مثلما أَنِسَ الرَّشا ثم انْثَنَى لنِفارِهِ
كسلان يَعثُر في الحديثِ لسانُهُ عثراتِ ساقٍ في كئوس عَقارِهِ
والخالُ يَعبِقُ في صحيفة خدِّهِ مسكًا خلعتُ النِّسْكَ مِن أعطارِهِ
موسى تنبَّأَ بالجمال، وإنما هاروتُ. لا! هاروتُ مِن أنصارِهِ
إن قلتُ فيه: هو الكليمُ فخدُّه يُهْدِيك معجزةَ الخليل بنارِهِ
رَوْضٌ حُرِمتُ ثِمارَه وقصائدي مِن ورْقِه، والآسُ نِبْتُ عذارِهِ
يا مشرفيًّا! غرَّني بفِرِنْدِه ونسيتُ ما في حَدِّه وغِرارِهِ
أَنَسَتْ بنارِ الشوقِ فيك جوانحي والزندُ لا يشكو بحَرِّ شرارِهِ
أتلَفْتَ قلبي فاسترحتُ مِن الْمُنَى كم من رضًى في طَيِّ كُرْهِ الكارِهِ

سواد الخال

مَن لي بأنْ يَدْنو بعيدُ مَزارِهِ ظبيٌ طلوعُ الفجر مِن أزْرارِهِ
كالغُصْنِ في حَرَكاتِهِ وقَوامِهِ كالظَّبْيِ في لَحَظاتِهِ، ونِفارِهِ
في الرَّوْض منه محاسنٌ، ومَشابِهٌ في آسِه، وبهارِه، وعَرارِهِ[١٨٨]
فعرارُه من لَحْظِه، وبهارُه من خدِّهِ، والآسُ نبتُ عذارِهِ
وعِلِقْتُه وَسْنانَ يلعب بالنُّهى كتلاعُب الساقي بكأسِ عَقارِهِ
يا حُسْنَه! لو كان يَرْحَمُ صَبَّه وجمالَه! لو كان مِن زُوَّارِهِ
أَلِفَ التجنِّي، والبعادَ شريعة فالنجمُ أقربُ من دنوِّ مَزارِهِ

---

[١٨٧] الشعر النابت في صفحتي الوجه.

[١٨٨] البهار والعرار شيء واحد وهو نبتٌ طيبُ الريح يُقال له: عين البقر، ينبت أيام الربيع، وهو جعْدٌ تتوسَّطه بقعة صفراء.

أَوْمَى إليَّ بلحظِهِ فتناثَرَتْ خِيلانُه[١٨٩] في الخدِّ من أشفارِهِ
لَمَّا أراقَ دمَ المشوقِ تعمُّدًا اسودَّ نقطُ الخال من أَوْزارِهِ
فالخدُّ يغرَقُ في مَعِينِ دموعِه والقلب يَصْلَى في جحيم أُوارِهِ
عجبًا لضِدٍّ كيف يأْلَفُ ضِدَّه هذا بأدْمُعِه وذاك بنارِهِ!

رُواة الجَمال

ومُعطَّلٍ والحُسْنُ يَعشَقُ جِيدَه فيَبِينُ بالوسواسِ عن وسواسِهِ
إنْ جاءَني فيه العزولُ بشُبهةٍ صدَعَ الغرامُ بنَصِّه وقياسِهِ
عاطَيْتُه شمسًا لها في هذه شفقٌ أعارَ الوردَ حُسْنَ لباسِهِ
يثني الكئوسَ نَوافِحًا بروائحٍ يَشْرَبْنَ مِن أنفاسِه في كاسِهِ
فالمسكُ يَرْوِي الطِّيبَ عن مِسْكِ الصِّبا عن أكؤسِ الجريال[١٩٠] عن أنفاسِهِ

ثمن الدموع

دنفٌ قضَى عزَّ الجمال بهونِهِ فقضى أسًى قبلَ اقتِضاءِ دُيونِهِ
وأغرُّ تتْلُو الفجرَ غُرَّتُه كما تتْلُو لقلبي «فاطِرًا» بجُفُونِهِ
هو للغرابة في الجمال عرابة[١٩١] أخذَ المحاسنَ رايةً بيَمِينِهِ
حلَّيْتُ شِعري من بَدِيع صفاتِهِ بطلاوةٍ تُغْنِيه عن تَلْحِينِهِ
في خدِّ موسى نقطُ خالٍ رائقٍ نُور العذار محلَّأٌ من نُورِهِ
فترى صحيفةَ كاتبٍ مُتَماجِنٍ قد خطَّ قبل النون نقطةَ نُونِه
يجري بفِيهِ كوثَرٌ في جَوْهرٍ أرخصتُ جوهرَ أدمُعي ليَمِينِهِ
آهًا للؤلؤِ ثغْرِه هلْ يَشْتَفِي مكنونُ ذاك الشوقِ من مكنونِهِ؟
إنْ رمتَ منه الوصلَ فعلًا حاضرًا أَوْمَتْ للاستِئْنافِ سينُ جَبِينِهِ

---

[١٨٩] جمع خال.

[١٩٠] الخمر.

[١٩١] راية عرابة: مَثَل يُضرَب للشُّهْرة، كما يُقال: عَلَم في رأسه نار.

دموع الأسى

هي دُرَّة مراثِيه، لا، بل هي وحيدةُ مراثِيهِ، قالها في «أبي بكر بن غالب» القائد الخطير، والوزير الكبير:

يَجِدُّ الرَّدَى فينَا ونحن نُهازِلُه ... ونغفو، وما تغفو فُواقًا نَوَازِلُه[١٩٢]
بقاءُ الفتى سؤْلٌ يعِزُّ طِلابُهُ ... وريبُ الرَّدَى قِرنٌ يَزِلُّ مُصاوِلُه[١٩٣]
وأنفَسُ حظَّيْك الذي لا تناله ... وأنكى عدُوَّيْك الذي لا تُقاتِلُه
أَلَا إنَّ صَرْفَ الدَّهرِ بحرُ نوائبٍ ... وكلُّ الوَرَى غَرْقاه، والقبرُ ساحِلُه
تَرِثُّ[١٩٤] لِمَن رامَ الوفاءَ حِبالُهُ ... وتَعْرَى لِمَن رامَ الخلاصَ حبائِلُه
وأكثرُ مِن حُزنِ الجَزُوع خُطُوبُهُ ... وأكبرُ من حَزْمِ اللَّبيبِ غوائِلُه
فما عصمتْ نفس المقدس روعه ... ولا قصرتْ بالمستكين علائلُه
وهل نافعٌ في الموت أنَّ اختيارنا ... يُنافِرُه، والطبعُ ممَّا يُشاكِلُه
وكيف نجاةُ المرءِ أو فلتاته ... على أسهم قد ناسبَتْها مقاتِلُه
وأمَّا وقد نالَ الزمانُ ابنَ غالب ... فقد نال مِن هضْمِ العُلا ما يُحاوِلُه
أليس المساعي فارقَتْه فأظلَمَتْ ... كما فارقتْ ضوءَ النهار أصائِلُه
لقد لُفَّ في أكفانِه الفضلُ كلُّه ... وساقَ العُلى جَهْرًا إلى التُّرْب حامِلُه
فإنْ ضمَّه من مستوِي الأرضِ ضيِّقٌ ... فكمْ وَسِعَ الأرضَ العريضةَ نائِلُه!
وكم ساجَلَتْ فيها البحارَ يَمِينُه ... وكم جانَسَتْ فيها الرياضُ شمائِلُه
لئن سوَّدَ الآفاقَ يومُ حِمامِه ... لقد بيَّضتْ صُحْفَ الحسابِ فضائِلُه
وإنْ سدَّ بابَ الصبرِ حادثُ فقْدِه ... لقد فتحتْ بابَ الجنانِ وسائِلُه
وإنْ ضيعتْ ماءَ العيون وفاتُهُ ... لقد حفِظَتْ ماءَ الوُجوهِ نوائِلُه
وكم أحْيَتِ الليلَ الطويلَ صلاتُهُ ... وكم قتلتْ مَحْلَ السنين فواضِلُه
تُخَلَّفُ في مُرِّ الْمُصابِ قلوبُنا ... وزُفَّتْ إلى بَرْدِ النَّعيم رواحِلُه

---

[١٩٢] الفُواق — بضم الفاء وفتحها — أي الرَّاحة، والنوازل جمع نازلة، وهي المُصيبة.

[١٩٣] قرنك هو الذي يَعدِلك ويُساويك، ومُصاوله: النازل معه في قِتال.

[١٩٤] تَهِن وتَضعُف.

عزاءً أبا بكرا! فلو جامَلَ الرَّدَى كريمَ أناسٍ كنتَ ممَّن يُجامِلُه
وما ذهبَ الفرعُ الذي أنت أصْلُه ولا انقطعَ السعيُ الذي أنت وَاصِلُه
أبوك بَنَى العَلْيا، وأنت سددْتَها بمجدٍ يُقوِّي ما بَنَى ويُشاكِلُه
كما تمَّ حسنُ البدرِ، وهو مُكمَّلٌ وأيَّدَه دُرِّيُّ سعدٍ يُقابِلُه
وإن أصبح المجدُ التَّليدُ لفَقْدِه يتيمًا فلا يحزن فإنَّك كافِلُه
إذا ثبتتْ أخرى النَّدى في محمد فلم تتزحزح بالحِمامِ أوائِلُه
حليفُ جِلادٍ ليس تُكْسَى سُيوفُهُ وثوبِ طرادٍ ليس تَعْرَى صواهِلُه
فما جمرةٌ إلَّا دماءُ عِداتِه! ولا طربٌ حتى تُغنِّي مناصِلُه
تضمُّ على ليثِ الكِفاحِ حُرُوبُهُ وتُسْفِر عن بدرِ التمامِ مَحَافِلُه
سَمَا بُعلًا لا يَسْتَرِيح حَسُودُها وساد بجودٍ ليس يَتْعَبُ آمِلُه
تودُّ الغوادِي أنهن بَنانُه وتَهْوَى الدَّراري أنهن شمائِلُه
تساوَى مَضاءً رأْيُه وحُسامُه ولانَ مَهَزًّا مِعْطفاهُ وذَابِلُه
ربوعُ المساعِي عامِراتٌ بسَعْيِه ويُقْفِرُ منه غِمْدُه وحمائِلُه
وأفَلَّ حبُّ الهامِ شفرةُ عَضْبِه[١٩٥] وإنْ لم تَزَلْ في كلِّ يومٍ تُواصِلُه
توقَّدَ ذِهْنًا حين سالَ سماحةً كما شبَّ بَرْقًا حين فاضَتْ هواطِلُه
تَلَوْذَعَ[١٩٦] حتى يَحسبَ الأفقَ مَنْشَأً له، والنجومُ النَّيِّراتِ قبائِلُه
تحيَّرتُ فيه، والمعاني غرائب، أأفكارُه أمْضَى شَبًا[١٩٧] أمْ عوامِلُه؟
إذا كان خطبٌ، أو خِطابٌ فأين مَن يُجالِدُه في مَشْهَدٍ ويُجادِلُه؟!
ترى فيه فيضَ النيلِ، والبدرِ كاملًا إذا لاحَ مَرْآهُ، وجادَتْ أنامِلُه[١٩٨]
كريمٌ، إذا ما عُمِّر الوعدُ ساعةً أُتِيح له منه ابتسامٌ يُعاجِلُه
لئنْ سبَقَتْهُ بالزمانِ مَعاشِرٌ فكم سبَقَتْ فرضَ المصلِّي نوافِلُه
وإنْ شاركتْه في العُلَى هضبةٌ فقد تباينَ زجُّ الرمح قدًّا وعامِلُه[١٩٩]

---

[١٩٥] شفرة كلِّ شيء حرْفُه، والعَضْب: السيف.

[١٩٦] صارَ ظريفًا حديدَ الفؤاد.

[١٩٧] جمع شَباة — بفتح الشين — وهي حدُّ الطرف.

[١٩٨] ترتيب مُشَوَّش، وهو يريد إذا جادَ شَابَهَ النيلَ في فيضانِه، وإذا بدا تساوَى والبدرَ في لَمَعانِه.

[١٩٩] تباين: اختلف، وزج الرمح الحديدة التي في أسفله، وعامله ما يلي السنان.

حجرتَ أبا بكر على الدهرِ جانبي ووطنْتَني إذْ أزعجَتْني زلازِلُه
فلا شاردٌ إلَّا نداك عِقالُه ولا خائفٌ إلَّا عُلاك معاقِلُه
وكنتَ العِياذَ الأمنَ كالْمُزْنِ آيةً تُظِلُّ، وتَرْوِي العاطشين هواطِلُه
وإنْ كنتَ سيفًا للمُريبين مُرْهَفًا فبُوركتَ مِن سيفٍ وبُورك حامِلُه
أراكَ بعينَيْ مَن أقَلْتَ عِثارَه بسَعْيِك والهادي إلى الخير فاعِلُه

شكاية عاشق

ظلمًا خصمتَ شهيدَ الحبِّ عن دَمِه وذاك خدُّك مصبوغًا بعَنْدَمِه
يصبوا لألحاظِ موسى القلبُ، وا عجبًا! رامٍ غزَا مُقْلَتَيْ صَبٍّ بأسْهُمِهِ
نَصِيبُ عاشِقِه مِن حبِّه نَصَبٌ وحظُّ مُغْرَمِه إرجاءُ مُغرِمِهِ
علَّمتُهُ الفتْكَ في قلبي بناظره لو يَقْبَلُ الوصلَ رأْيًا مِن مُعلِّمِهِ؟!

معجزات الجمال

رُوحِي فدا موسى، وإنْ لم تُبْقِ لي ألحاظُهُ نَفْسًا بها أفْدِيهِ
تَهْدِي إلى دِين الصِّباءِ[٢٠٠] لحُسْنه آيٌ يضِلُّ بهنَّ مَن يَهْدِيهِ
فعلَتْ فِعالَ عصَا الكَلِيمِ[٢٠١] لِحاظُهُ بمُصدِّقٍ دعواهُ لا يَعْصِيهِ
تسعى لقلبِ الصَّبِّ منها حيةٌ أَوْدَتْ به لَسْعًا، فمَن يَرْقِيهِ؟!
فأرى قلوبَ العاشِقين تحيَّرتْ مِن تِيهِه في مثلِ قَفْرِ التِّيهِ
جدَّ الغليلُ، ولوْ أرادَ تفجَّرتْ مثلَ العُيونِ لنا مَرَاشِفُ فِيهِ
شقَّتْ ظُبَا ألحاظِهِ بحرَ الهوى شقَّ العَصا للصَّبِّ كَيْ تُرْدِيهِ
حتى إذا أمعنْتُ فيه مُغَرَّرًا أغرقْتَنِي مع جُندِ صَبْرِي فِيهِ
ودعوتُه إنِّي بحُسْنِك مؤمنٌ لو أنَّ إيمانَ الشَّجِي يُنْجِيهِ!

---

[٢٠٠] دِين فريقٍ من اليهود.

[٢٠١] عصا سيِّدنا موسى، عليه السلام، حيث كانتْ تُرْمَى بيَدِه فتَصِير حيةً تَسْعى، وحيث ضربَ بها البحرَ، فانفرَقَ، فكان كلُّ فرقٍ كالطَّوْدِ العظيم.

تهنئةٌ بشفاءٍ من مرض

فَوِّقْ سِهامَكَ! إنَّ اللـه يَرْمِيها، واسْلُلْ سُيوفَك والأقدارُ تُمْضِيها
ثمارُ نجحٍ، سحابُ الرَّأْيِ يُمْطِرُها وأنت تَغْرِسُها، والدِّينُ يُبْنِيها
إذا الكتائبُ نالتْ في العِدا وَطَرًا فأنت نائلُه إذْ كنتَ تَهْدِيها
إذا أصابتْ لدى المَرْمَى النبالُ، فما تُعْزَى إصابتُها إلَّا لرَامِيها
بُرْءُ الوزير أتى، والفتحُ يعقبُهُ، كالشمسِ جاءتْ، وجاءَ الصُّبحُ يَتْلُوها
إذا اشتكيتَ رأيتَ الجودَ مُشْتَكِيًا والناسَ، والدِّينَ، والدُّنيا وما فِيها
أما رأيتَ الصَّبا معتلةً، وكسَى شمسَ الأصيلِ اصفِرارًا مِن تشَكِّيها
وكيف تُمْرِضُك الدنيا، ولا فعلَتْ، يا سيدًا تمرضُ الدنيا فتَشْفِيها
لو حاربتْك النجومُ النَّيِّراتُ إذَنْ خرَّتْ لسَعْدِك مِن أعْلَى مَراقِيها

(انتهى)

هنـــداوي